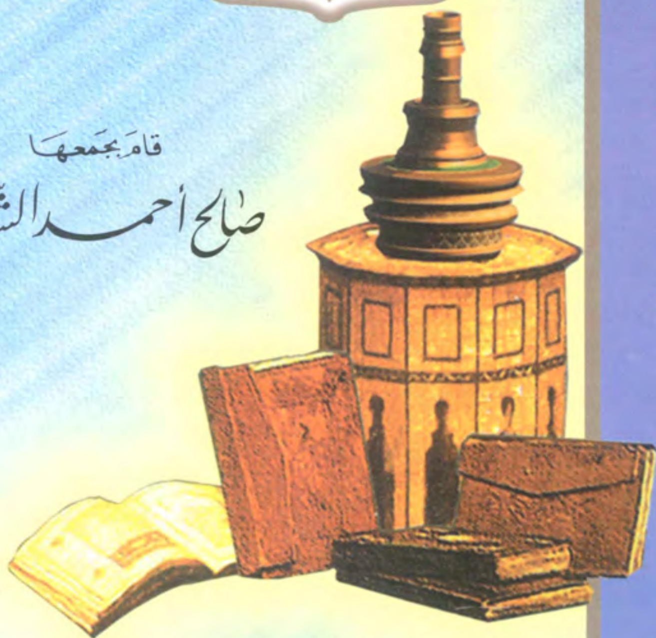
مواعظ

الإمام الفضيل بن عياض

(ت ١٨٧ هـ)



قام بجمعها

صالح أحمد الشامي

المكتب الإسلامي

معالم في التربية والدعوة

مواعظ

الإمام الفضيل بن عياض

(ت ١٨٧ هـ)

قام بجمعها

صالح أحمد الشامي

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠ (٠٥)
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فمازلنا مع الكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، نتتبعها عند أعلام هذه الأمة، من سلفنا الصالح. فهي ربيع القلوب وغذاء الأرواح..

وعَلَمُنَا الذي نقدم بعض مواعظه في هذا الكتاب هو الإمام الفضيل بن عياض الذي يرى في الكلمة الطيبة خير هدية تقدمها لمن تحب فيقول:

«نعمت الهدية الكلمة من الحكمة، يحفظها الرجل، حتى يلقيها إلى أخيه».

نعم ـ والله ـ إنها خير هدية، لأنها من جنس

بضاعة الأنبياء والمرسلين. وهل بضاعتهم إلا الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة.

وتنضم هذه المواعظ إلى أخواتها لتشكل حلقة في سلسلة «معالم في التربية والدعوة» راجين الله تعالى أن ينفع بها، إنه نعم المجيب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. والحمد لله رب العالمين.

رمضان ١٤١٨هـ

كانون ثاني ١٩٩٨م

كتبه

صالح أحمد الشامي

الفضيل بن عياض

الفضيل بن عياض التميمي. ولد بسمرقند ونشأ بأبِيْوَرْدَ بخراسان.

ولا تحدد الروايات التي تحدثت عنه تاريخ مولده.. وإنما تكلم هو عن نفسه فقال: إنه بلغ الثمانين..

وليس هناك من صورة واضحة عن بدء حياته.

وتذهب بعض الروايات إلى أنه كان من الشطار الذين يقطعون الطرق، ثم هداه الله بسماعه آية من كتاب الله تعالى.

جاء في سير أعلام النبلاء.

عن الفضل بن موسى قال: كان الفضيل بن عياض شاطراً، يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس. وكان سبب توبته: أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع تالياً يتلو ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا

أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[1] فلما سمعها قال: بلى يا رب، قد آن، فرجع، فآواه الليل إلى خربة، فإذا فيها سابلة، فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتى نصبح. فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا.

قال: ففكرت وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين ها هنا، يخافوني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع. اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام[2].

ويرى بعضهم أن شدة خوفه طول حياته، تعود إلى تأثير هذه القضية في نفسه..

وليس هذا بلازم، فهناك كثير من البكائين، والخائفين من السلف الذين لم يكونوا شطاراً أو مذنبين في بدء حياتهم.

وقد قضى فترة من الوقت في الكوفة، فكتب العلم عن علمائها، كمنصور والأعمش، وعطاء بن السائب، وصفوان بن سليم وغيرهم.

---

(١) سورة الحديد، الآية (١٦).

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٣ والبداية والنهاية ١٠/ ٢٢٦، والرسالة القشيرية ص٩.

ثم استقر في مكة مجاوراً.

وكان ـ رحمه الله ـ يقوت نفسه وعياله من سقاية الماء بمكة، فقد كان له جمل ينقل عليه الماء ويبيعه، ويتقوت هو وعياله منه[١].

وكان يمتنع من قبول صلات وجوائز الملوك والولاة، ولكنه كان يقبل صلة عبد الله بن المبارك[٢].

ويغلب على الظن أن سبب امتناعه عن قبول جوائز الملوك يعود إلى شكه في حلها، إذ هي أموال بيت المال يتصرف فيها الحكام. وهو حريص كل الحرص على أن لا يدخل بطنه إلا الحلال.

توفي بمكة في شهر محرم سنة سبع وثمانين ومائة للهجرة[٣].

---

(١) تنبيه المغترين ص١٨٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٤٢.

(٣) البداية والنهاية ١٠/ ٢٢٦.

شهادات

ولإعطاء تصور أفضل عن حياة هذا العَلَم، يحسن بنا أن ننقل بعض الأقوال التي قيلت في حقه من قبل العلماء الذين عايشوه أو الذين جاؤوا من بعد.

قال إبراهيم بن الأشعث:

ما رأيت أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل، كان إذا ذكر الله، أو ذكر عنده، أو سمع القرآن، ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه وبكى، حتى يرحمه من بحضرته، وكان دائم الحزن، شديد الفكرة، ما رأيت رجلاً يريد الله بعلمه، وأخذه وإعطائه، ومنعه وبذله، وبغضه وحبه، وخصاله كلها غيره.

وقال:

كنا إذا خرجنا مع الفضيل في جنازة، لا يزال يعظ ويذكر ويبكي، حتى لكأنه يودع أصحابه، ذاهب

إلى الآخرة، حتى يبلغ المقابر فيجلس، فكأنه بين الموتى، جلس من الحزن والبكاء حتى يقوم، ولكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها[1].

وقال سفيان بن عيينة:

ما رأيت أحداً أخوف من الفضيل وابنه[2].

وقال إسحاق بن إبراهيم:

ما رأيت أحداً أخوف على نفسه، ولا أرجى للناس من الفضيل.

كانت قراءته حزينة شهية، بطيئة مترسلة، كأنه يخاطب إنساناً، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة تردد فيها، وسأل.

وكانت صلاته بالليل أكثر ذلك قاعداً، تلقى له حصير في مسجده، فيصلي من أول الليل ساعة حتى تغلبه عيناه، فيلقي نفسه على الحصير فينام قليلاً، ثم يقوم فإذا غلبه النوم نام، ثم يقوم هكذا حتى يصبح.

وكان دأبه إذا نعس أن ينام.

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٨٤.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٨٥.

وكان صحيح الحديث صدوق اللسان شديد الهيبة للحديث، إذا حدث، وكان يثقل عليه الحديث جداً[1].

وقال أبو علي الرازي: صحبت الفضيل ثلاثين سنة، ما رأيته ضاحكاً ولا مبتسماً إلا يوم مات ابنه علي. فقلت له في ذلك فقال: إن الله عز وجل أحب أمراً فأحببت ما أحب الله[2].

وقال سفيان بن عيينة: فضيل ثقة.

وقال العجلي: ثقة متعبد، رجل صالح سكن مكة.

وقال أبو حاتم: صدوق.

وقال النسائي: ثقة مأمون، رجل صالح.

وقال الدارقطني: ثقة.

وقال محمد بن سعد: كان ثقة نبيلاً فاضلاً عابداً ورعاً، كثير الحديث.

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٨٦.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٠٠.

وقال ابن المبارك: ما بقي على ظهر الأرض عندي أفضل من الفضيل بن عياض.

وقال الذهبي: الإمام القدوة الثبت. شيخ الإسلام. أبو علي[1].

وقال ابن كثير: أحد الأئمة العباد الزهاد، وهو أحد العلماء والأولياء، وكان حسن التلاوة، كثير الصلاة والصيام، وكان سيداً جليلاً من أئمة الرواية. رحمه الله ورضي عنه[2].

وعدَّه ابن تيمية من أئمة السلف[3]. ومن أكابر المشايخ[4].

(١) انظر هذه الأقوال في سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢١ ـ ٤٢٢.
(٢) البداية والنهاية ١٠/ ٢٢٦.
(٣) الاستقامة ٢/ ٣٠٨.
(٤) الاستقامة ١/ ٨٢.

محاور
الوعظ عند الفضيل

محاور الوعظ مشتركة عند جميع العلماء، كما سبق القول في ذلك. ولكنه تبرز اهتمامات كل عالم بحسب أدواء المجتمع الذي يعيش فيه، ويكون تأكيده، على الأمر تبعاً لشدة المرض، أو تبعاً لاعتبارات أخرى يمليها الواقع عليه.

ونشير إلى المحاور الرئيسة عند الفضيل فنقول:

١ ـ التزام الكتاب والسنة.

والتزام الكتاب والسنة هو المحور الأساس الذي تدور عليه مواعظ الوعاظ، ويأخذ هذا الموضوع مكان الصدارة عند الفضيل. فما فتئ في مواعظه يقول: عليكم بالكتاب، عليكم بالسنة..

ويرى أن السبيل إلى الحياة الطيبة هو: الإسلام والسنة.

وأصحاب السنة هم الذين يحيي بهم الله البلاد والعباد.

ومقياس صواب الأعمال، أن تكون على السنة.

٢ ـ الإخلاص والخوف من الرياء:

شغلت هذه القضية مساحة كبيرة من مواعظه، بل وكانت الهمَّ المسيطر على نفسه، خوفاً من أن يداخل أعماله الرياء، فيكون ذلك سبباً في بطلان ثوابها.

حتى وصل به الأمر في محاسبة نفسه في هذا الشأن إلى أن يقول:

لو حلفت أني مراءٍ كان أحب إلي من أن أحلف أني لست بمراءٍ[١].

وفي سبيل التخلص من الرياء والوصول إلى الإخلاص، كانت مواعظ:

أخملْ ذكرك.

إنْ قدرتَ أن لا تعرف فافعل.

ثم يبين علامات الرياء.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣٤.

ونتيجة لانشغاله بهذا الجانب في تصفية الأعمال من الشوائب وصل إلى قاعدة في بيان شروط العمل المقبول.

فالعمل المقبول. هو: الخالص الصواب.

والخالص: أن يكون لله بعيداً عن الرياء.

والصواب: أن يكون على السنة.

وقد وقف ابن تيمية عند هذه القاعدة إعجاباً بها والتزاماً لها في مواطن متعددة من كتابه «الاستقامة».

ثم يسير شوطاً آخر في هذا الميدان ليعقد مقارنة بين الفسق الذي هو قمة المعصية، وبين الرياء، ليخلص إلى أن الفسق أهون من الرياء.

وذلك لأن المعاصي يتغلب عليها بالتوبة، وينتظر من الله المغفرة، وليس كذلك الرياء، لأنه ذنب قلَّ أن يشعر به صاحبه حتى يتوب منه[1].

وبهذا البيان يجلِّي الفضيل رحمه الله خطر الرياء محذراً من عواقبه الوخيمة.

---

(١) تنبيه المغترين ص٢٠٦.

٣ ـ تحري الطعام الحلال:

من الأمور التي دعا إليها الفضيل: الاهتمام بأمر الطعام والبحث عن الحلال والبعد عن الشبهات.

فمن عرف ما يدخل جوفه كان عند الله صديقاً. ثم يقول: فانظر من أين يكون مطعمك يا مسكين.

وقال: من لم يصحبه الورع في فقره، أكل الحرام المحض وهو لا يشعر.

وقال: لم يتزين الناس بشيء أفضل من الصدق وطلب الحلال.

فطلب الحلال يعني أن يحاسب الإنسان نفسه في كل ما يدخل يده من مال. والحرص على الحلال وعدم قبول الشبهات وبهذا يكون طعامه حلالاً.

ومسلك الفضيل هذا. إنما هو التزام بما حض عليه الرسول ﷺ في هذا الصدد، ومن ذلك ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال:

قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين. فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ

صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾﴾[1] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[2]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام. ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟»[3].

فتناول الحرام يحول دون قبول الدعاء، وأي خطر أكبر من ذلك؟

٤ ـ التحذير من البدع:

كثرت مواعظ الفضيل في التحذير من البدع، وهو إذ يفعل ذلك إنما يؤكد على الدعوة إلى التمسك بالسنة، فهي قضية واحدة.

فمن أحب صاحب بدعة، أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه.

وإذا رأيت مبتدعاً في طريق، فخذ في طريق آخر.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية (٥١).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٧٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥).

بل يذهب في تحذيره إلى أبعد من ذلك فيقول:

ومن جلس إلى صاحب بدعة فاحذره.

وما ذلك التحذير إلا البيان لما تحمله البدعة في ثناياها من هدم للسنة، فلا تقوم بدعة إلا على حساب انحسار سنة.

وفي هذا ما فيه من البلاء والخطر الشديد على المسلمين.

٥ ـ نصائحه للعلماء:

يرى الفضيل رحمه الله أن العلماء، هم قادة الأمة، ولذلك ينبغي عليهم أن يكونوا ذروة القوم في عزة النفس، وأن يكونوا دائماً في موضع العطاء، لا موضع الأخذ، وأن يكونوا بأفعالهم قدوة للناس جميعاً.

يقول: حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي له أن يلهو مع من يلهو، ولا يلغو مع من يلغو، ولا يسهو مع من يسهو، وينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى الخلق حاجة، لا إلى الخلفاء فمن دونهم..

وإذا كان الأمر كذلك فسوف يكون العالم مطلوباً

لا طالباً. وهكذا كان علماء السلف: إذا تعلموا عملوا، وإذا عملوا شغلوا، وإذا شغلوا فقدوا، وإذا فقدوا طلبوا..

فهم مطلوبون.. فالناس بحاجة إليهم.

ولكنه بعد جيل السلف أصبح العلم عند صنفين من الناس: علماء الدنيا وعلماء الآخرة..

وعلماء الدنيا - كما يصفهم الفضيل - زيهم أشبه بزي كسرى وقيصر منه بمحمد ﷺ..

وهذا ما يستدعي بكاء الفضيل عليهم فيقول:

إني لأبكي على العالم إذا رأيت الدنيا تلعب به!!

وقد كان العلماء ربيع الناس.. وقد صاروا اليوم فتنة الناس.

وهو يعزو ما أصاب العلماء من خلل إلى فساد النية، فيقول:

لو صحت النية في العلم، لم يكن عمل أفضل منه، ولكنهم تعلموه لغير العمل..

ومع ذلك فالعلماء - في نظره - كثير، والحكماء قليل، وإنما يراد من العلم الحكمة، فمن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.

ومن هذا الواقع القائم في دنيا العلماء، كانوا أحق بالموعظة وأحوج إليها من غيرهم.

٦ ـ صلاح السلطان:

يلتقي الفضيل مع عبد الله بن المبارك في ضرورة وجود السلطان. وإلا فإن الفوضى سوف تسود البلاد..

ولذا فهو يقول: لو كان لي دعوة صالحة ما صيرتها إلا في الإمام. وذلك لأن في صلاح الإمام، صلاح البلاد والعباد.

ولذا فهو يقدم السلطان على خاصة نفسه في هذه الدعوة، لأن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة.

ويشرح لنا كيف يكون به صلاح البلاد فيقول:

إذا أمن الناس ظلم الإمام، عمروا الخرابات، ونزلوا الأرض..

وهذه نظرة بعيدة الغور في ذلك الوقت فالأمن الذي يحصل بوجود السلطان الصالح يدفع الناس إلى الشعور بالاستقرار الأمر الذي يدفعهم إلى البناء وإعمار

الأرض.. الأمر الذي يؤدي إلى الحركة التي تستوعب الأيدي العاطلة عن العمل.. وبهذا يحصل الرخاء للجميع.

وهي نظرة اجتماعية اقتصادية فاحصة دقيقة.

ويشرح لنا أيضاً كيف يكون بالسلطان صلاح العباد بعد صلاح البلاد فيقول واصفا عمل السلطان..:

ينظر السلطان إلى قوم من أهل الجهل، قد شغلهم طلب المعيشة عن طلب ما ينفعهم من تعلم القرآن وغيره.. فيجمعهم خمسين خمسين.. ويؤمن لهم ما يصلحهم. ويجعل عليهم من يعلمهم أمور دينهم.

فهو يرى إلزامية التعليم. وأنها مسؤولية الإمام، لأنه لا أحد غيره يستطيع أن يلزم الناس بها.. والتعليم هو الوسيلة لبناء الإنسان الصالح في المجتمع..

وإيضاح هذه النظرة وبيان أبعادها ـ وهي تشخيص دقيق لمرض المجتمع ـ جعل عبد الله بن المبارك يقوم فيقبل رأس الفضيل ويقول له: يا معلم الخير من يحسن هذا غيرك؟

وإذا كان مكانة السلطان وأثره في إصلاح البلاد

والعباد. واضحاً في ذهن الفضيل كل الوضوح، فإنه لا يرى للعلماء أن يقتربوا منه، لما في ذلك من فسادهم بحب الدنيا.

ويستثني من ذلك أن يكون العالم في مثل شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لا يخشى في الله لومة لائم، فإن له في هذه الحالة مقابلة السلطان، لأنه قادر على إنكار المنكر عندهم. والأمر بالمعروف، والنهي عن الجور والظلم.

أما من لم يملك مثل هذه الشخصية القوية، فالبعد عنهم هو الواجب في حقه. وهذا شأن عامة العلماء، ويقول في هذا:

كنا نتعلم اجتناب أبواب السلطان، كما نتعلم السورة من القرآن.

وهو يستغرب عمل أولئك الذين يذهبون إلى السلطان فيقول:

والله لو استأذن علي هارون الرشيد، ما أذنت له، إلا أن أغلب على ذلك. فكيف بمن يذهب هو إليه..؟!

يرى الفضيل أن العلماء هم قادة الأمة، وذهابهم

إلى السلطان إن لم يكن لأمر بالمعروف أو نهي عن المنكر، فيه ما فيه.. ولذا يرى السلامة في البعد عنهم، مع ما يكنه لهم من تقدير لما في صلاحهم من صلاح للأمة.

٧ ـ حفظ اللسان:

هذا الأمر شغل حيزاً كبيراً من مواعظ الفضيل، فسلامة الإنسان في حفظ لسانه، وحفظ اللسان أمر شديد على النفس. فلا حج ولا جهاد أشد من حبس اللسان، وليس أحد أشد غماً ممن سجن لسانه.

وتأتي «الغيبة» في مقدمة انحرافات اللسان، ومثال الذي يغتاب، كالذي ينصب منجنيقاً لحسناته، ويصير يرميها شرقاً وغرباً في كل جهة.

ويصف لنا واقع الناس. وكيف انتشرت الغيبة في مجالسهم، بما في ذلك طبقة العلماء والقراء، فالغيبة فاكهة القراء، ومنهم من يجعلها كالأدم في الطعام.

والغيبة حيثما حلت فإنها تبطل الأخوة، وتذهب بها.

والفضيل إذ يعطي هذا الأمر ما يتناسب معه من

الاهتمام، فإنما ينطلق مما انطلق منه الحديث الشريف في قوله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه:

(ألا أخبرك برأس الأمر كله، وعموده وذروة سنامه)؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: (رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد) ثم قال: (ألا أخبرك بملاك ذلك كله)؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه وقال: (كفَّ عليك هذا) فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون مما نتكلم به؟ فقال: (ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتم)[1].

نكتفي بهذا القدر، وسيجد القارئ الكريم محاور أخرى عندما يقرأ مواعظه.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٦١٦) وابن ماجه (٣٩٧٣).

مَوَاعِظُ
الإمام الفضيل بن عياض

قال تعالى:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾.

[سورة الحديد]

العمل المقبول

قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى:

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1].

قال: أخلصه وأصوبه.

قيل: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟

فقال:

إن العمل إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً لم يقبل.

وإذا كان صواباً، ولم يكن خالصاً، لم يقبل.

حتى يكون خالصاً صواباً.

والخالص: أن يكون لله.

والصواب: أن يكون على السنة[2].

---

(١) سورة الملك، الآية(٢).

(٢) الاستقامة، لابن تيمية ١/٢٤٨ والحلية ٨/ ٩٥.

عليكم بالقرآن والسنة

قال العتبي:

اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي.. فقال لهم: ما بالكم؟

فقالوا: عظنا يا أبا علي.

فقال:

عليكم بالقرآن.

عليكم بالسنة.

عليكم بالصلاة.

ويحكم!! هذا الزمان ليس بزمان حديث، وإنما هو زمان: احفظ لسانك وأخفِ مكانك، وعالج الليل، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر(١).

حقيقة الإيمان

قال الفضيل:

---

(١) تنبيه المغترين ص١٧٩.

لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعدّ البلاء نعمة، والرخاء مصيبة، وحتى لا يبالي من أكل الدنيا، وحتى لا يحب أن يحمد على عبادة الله عزَّ وجلَّ[1].

حلاوة الإيمان

قال الفضيل:

حرام على قلوبكم أن تصيبوا حلاوة الإيمان، حتى تزهدوا في الدنيا[2].

لو قيل لك: يا مرائي

قال الفضيل:

لو قيل لك: يا مرائي، لغضبت، وشق عليك، وتشكو: قال لي: يا مرائي.

وعسى قال حقاً من حبك للدنيا، تزينت للدنيا، وتصنعت للدنيا.

ثم قال: اتقِ لا تكن مرائياً وأنت لا تشعر، تصنعت وتهيأت حتى عرفك الناس فقالوا: هو رجل

---

(١) حلية الأولياء، ٨/ ٩٤.

(٢) حلية الأولياء، ٨/ ٩٤.

صالح، فأكرموك وقضوا لك الحوايج، ووسعوا لك في المجلس، وإنما عرفوك بالله، لولا ذلك لهنت عليهم، كما هان عليهم الفاسق لم يكرموه، ولم يقضوه، ولم يوسعوا له المجلس[1].

مخالطة السلطان

قال الفضيل:

والله، لو استأذن علي هارون الرشيد ما أذنت له، إلا أن أغلب على ذلك، فكيف بمن يذهب هو إليه من هؤلاء الفقراء؟

وقال:

لا يصلح أن يدخل على الأمراء ويخالطهم إلا مثل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأما أمثالنا فلا يصلح له الدخول عليهم، لعجزه عن مواجهتهم بالنصح والإنكار عليهم، فيما يراه منهم من الظلم والجور، ونحوه كفرش الحرير والستائر وغير ذلك[2].

---

(١) حلية الأولياء، ٨/ ٩٤.

(٢) تنبيه المغترين ص٢١.

الصحابة

قال الفضيل:

كان الصحابة رضي الله عنهم يصبحون شعثاً غبراً، قد باتوا سجداً وقياماً، يراوحون بين أقدامهم وجباههم.

وكانوا إذا ذكر الله عزَّ وجلَّ يميدون، كما تميد الشجرة في يوم الريح، وتهمل أعينهم حتى تبتل ثيابهم، وتصير دموعهم كآثار ماء الوضوء. فإذا كان وقت السحر، يدهنون وجوههم، ويكتحلون، كأنهم كانوا نائمين غافلين[١].

حامل القرآن

قال الفضيل:

حامل القرآن، مقامه يجلّ عن أن يعصي ربه، وكيف يصح له أن يعصي ربه وكل حرف من القرآن يناديه: بالله عليك. لا تخالف ما أنت حامله مني.

فلا ينبغي لحامل القرآن أن يلهو مع اللاهين، ولا

---

(١) تنبيه المغترين ص١٧٦.

يسهو مع الساهين، ولا يغفل مع الغافلين[1].

مصيبة

قال الفضيل:

ما ثَمَّ مصيبة أعظم من مصيبتنا، يتلو أحدنا القرآن ليلاً ونهاراً، ولا يعمل به. وكله رسائل من ربنا إلينا[2].

يسألون يوم القيامة

قال الفضيل:

إن حملة القرآن يسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الأنبياء، عليه الصلاة والسلام[3].

---

(١) تنبيه المغترين ص١٨٢.

(٢) تنبيه المغترين ص١٨٣ والمعنى: أنهم يسألون عن العمل بالقرآن.

وقال علي بن الفضيل: من لم يبك على نفسه عند تلاوة القرآن فهو مغرور، لأن المراد منه العمل لا التلاوة.

(٣) تنبيه المغترين ص١٨٢.

وقال: إني لأتعجب ممن يفرح كلما ختم القرآن تلاوة، ولا يطالب نفسه بشيء من مواعظه وزواجره وقوارعه [تنبيه المغترين ص١٨٢].

احفظ حسناتك

قال الفضيل:

حسناتك من عدوك أكثر منها من صديقك[١].

قيل: وكيف ذاك يا أبا علي؟

قال: إن صديقك إذا ذكرت بين يديه قال: عافاه الله، وعدوك إذا ذكرت بين يديه يغتابك الليل والنهار، وإنما يدفع المسكين حسناته إليك، فلا ترضَ إذا ذكر بين يديك أن تقول: اللهم أهلكه، لا بل ادع له: اللهم أصلحه، اللهم راجع به، ويكون الله يعطيك أجر ما دعوت به، فإنه من قال لرجل: اللهم أهلكه، فقد أعطى الشيطان سؤاله، لأن الشيطان إنما يدور على هلاك الخلق[٢].

الغيبة

قال الفضيل:

إذا ظهرت الغيبة، ارتفعت الأخوة في الله.

---

(١) أي حسناتك التي تحصل عليها من عدوك.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٩٧.

إنما مثلكم في ذلك الزمان، مثل شيء مطلي بالذهب والفضة، داخله خشب، وخارجه حسن[1].

الهرب بالذنب

قال الفضيل:

المؤمن يهمه الهرب بذنبه إلى الله، يصبح مغموماً، ويمسي مغموماً[2].

استكمال الإيمان

قال الفضيل:

يا سفيه: ما أجهلك، ألا ترضى أن تقول: أنا مؤمن، حتى تقول: أنا مستكمل الإيمان؟ لا والله، لا يستكمل العبد الإيمان حتى يؤدي ما افترض الله تعالى عليه، ويجتنب ما حرم الله تعالى عليه، ويرضى بما قسم الله تعالى له، ثم يخاف مع ذلك أن لا يتقبل منه[3].

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٩٦.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٩٧.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ١٠١.

الفسق والرياء

كان الفضيل يقول:

من أحب أن ينظر إلى مراءٍ، فلينظر إليَّ.

ثم يمسك لحيته بيده ويبكي ويقول:

كنت يا فضيل في شبابك فاسقاً، ثم صرت في كهولتك مرائياً، والله للفسق أهون من الرياء[(١)].

كمال العابد

قال الفضيل:

لا يكمل العابد حتى يصير يرى إخلاصه رياء[(٢)].

علماء السلف

قال الفضيل:

بلغني أن العلماء فيما مضى، كانوا إذا تعلموا عملوا، وإذا عملوا شغلوا، وإذا شغلوا فقدوا، وإذا فقدوا طلبوا، وإذا طلبوا هربوا[(٣)].

---

(١) تنبيه المغترين ص١٧١.

(٢) تنبيه المغترين ص١٧١.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣٩.

بكاء على خطيئة

قال الفضيل:

بلغني أن داود ـ عليه الصلاة والسلام ـ ذكر ذنبه ذات يوم، فذهب صارخاً واضعاً يده على رأسه، حتى لحق بالجبال،، فاجتمعت إليه السباع، فقال: ارجعوا، لست أريدكم، إنما أريد كل بكاء على خطيئته مثلي، ومن لم يكن ذا خطيئة فماذا يصنع به داود الخطاء؟[١].

كيف حالك

قال الفضيل:

كيف ترى حال من كثرت ذنوبه، وضَعُفَ علمه، وفني عمره، ولم يتزود لمعاده؟[٢].

طلب الدنيا

قال الفضيل:

لأن أطلب الدنيا بطبل ومزمار، أحب إليَّ من أن أطلبها بالعبادة[٣].

---

(١) تنبيه المغترين ص١٨٠.
(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٤٠.
(٣) صفة الصفوة ٢/ ١٦١.

متى يتكلم العالم

قال الفضيل:

إن استطعت أن لا تكون محدثاً، ولا قارئاً، ولا متكلماً.

إن كنت بليغاً، قالوا: ما أبلغه. وأحسن حديثه. وأحسن صوته، فيعجبك ذلك، فتنتفخ.

وإن لم تكن بليغاً، ولا حسن الصوت، قالوا: ليس يحسن يحدث، وليس صوته بحسن، أحزنك ذلك. وشق عليك. فتكون مرائياً.

وإذا جلست، فتكلمت، فلم تبالِ من ذمك ومن مدحك، فتكلم[١].

أصحاب السنة

قال الفضيل:

إن لله عباداً، يحيي بهم العباد والبلاد، وهم أصحاب سنة، من كان يعقل ما يدخل جوفه من حله، كان في حزب الله تعالى[٢].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣٣.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٠٤.

فاركبوا طريق الآخرة

قال الفضيل:

ما لكم وللملوك؟ ما أعظم منَّتهم عليكم، قد تركوا لكم طريق الآخرة، فاركبوا طريق الآخرة.

ولكن لا ترضون، تبيعونهم بالدنيا، ثم تزاحمونهم على الدنيا.

ما ينبغي لعالم أن يرضى هذا لنفسه[1].

التوبة قبل الجهاد

كان الفضيل يقول للمجاهدين إذا أرادوا الخروج للجهاد:

عليكم بالتوبة، فإنها تردّ عنكم ما لا ترده السيوف[2].

دعاء مضطر

قال الفضيل:

لما عاين قوم يونس عليه الصلاة والسلام

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٠٢.

(٢) تنبيه المغترين ص١٦١.

العذاب. قام رجل منهم فقال: اللهم إن ذنوبي عظمت وجلَّتْ، وأنت أعظم منها وأجل، فافعل بنا ما أنت أهله، ولا تفعل بنا ما نحن أهله.

فكشف الله عنهم العذاب[1].

معنى الاستغفار

قال الفضيل:

معنى قول العبد: استغفر الله: اللهم أقلني من ذنبي[2].

زخرفة البناء

قال الفضيل:

ما زخرف قوم البناء، إلا أوشك أن يرجموا من السماء[3].

لو زهد العلماء

قال الفضيل:

---

(١) تنبيه المغترين ص١٦١.

(٢) تنبيه المغترين ص١٦٢.

(٣) تنبيه المغترين ص١٦٨.

لو أن أهل العلم زهدوا في الدنيا، لخضعت لهم رقاب الجبابرة، وانقادت الناس لهم، ولكن بذلوا علمهم لأبناء الدنيا، ليصيبوا بذلك مما في أيديهم، فذلوا وهانوا على الناس، ومن علامة الزهاد: أن يفرحوا إذا وصفوا بالجهل عند الأمراء ومن داناهم[١].

الطعام الحلال

قال الفضيل:

من عرف ما يدخل جوفه كان عند الله صدِّيقاً. فانظر من أين يكون مطعمك يا مسكين[٢].

سفيان والفضيل

دخل سفيان الثوري على الفضيل بن عياض ـ رحمهما الله تعالى ـ يوماً، فقال له: عظني يا أبا علي.

فقال له الفضيل:

وبماذا أعظكم معاشر العلماء، كنتم سُرجاً يستضاء بكم في البلاد، فصرتم ظلمة، وكنتم نجوماً يهتدى بكم في ظلمات الجهل، فصرتم حيرة.

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥٩.

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥٩.

يأتي أحدكم إلى أبواب هؤلاء الولاة، فيجلس على فرشهم، ويأكل من طعامهم، ويقبل هداياهم، ثم يدخل بعد ذلك إلى المسجد، فيجلس فيه ثم يقول: حدثنا فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ بكذا، والله ما هكذا يطلب العلم.

قال: فبكى سفيان[(١)] حتى خنقته العبرة، وخرج[(٢)].

ليست دار إقامة

قال الفضيل:

ليست الدار دار إقامة، وإنما أهبط إليها آدم عقوبة، ألا ترى كيف يزويها عنه، ويمررها عليه بالجوع مرة، وبالعري مرة، وبالحاجة مرة، كما تصنع الوالدة الشفيقة بولدها، تسقيه مرة حضضاً[(٣)]، ومرة صبراً، وإنما تريد بذلك ما هو خير له[(٤)].

---

(١) لم يكن سفيان الثوري من هذا النوع الذي تكلم عنه الفضيل، ولم يقصده الفضيل، وإنما كان كلامه عاماً وقد جاء في كتاب الطبقات للشعراني. أن سفيان هو سفيان بن عيينة. وهو الأنسب، لأن سفيان بن عيينة كان يقبل الصلات.

(٢) تنبيه المغترين ص١٧ ـ ١٨.

(٣) الحضض: عصارة شجر مر المذاق يتداوى به.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ٩٠.

باب مفتوح

قال الفضيل:

ما من ليلة اختلط ظلامها، وأرخى الليل سربال سترها، إلا نادى الجليل جلّ جلاله:

من أعظم مني جوداً، والخلائق لي عاصون، وأنا لهم مراقب، أكلؤهم في مضاجعهم، كأنهم لم يعصوني، وأتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا، من بيني وبينهم؟ أجود بالفضل على العاصي، وأتفضل على المسيء، من ذا الذي دعاني فلم أسمع إليه؟ أو من ذا الذي سألني فلم أعطه؟ أم من ذا الذي أناخ ببابي ونحيته؟ أنا الفضل، ومني الفضل، أنا الجود، ومني الجود، أنا الكريم، ومني الكرم، ومن كرمي أن أغفر للعاصي بعد المعاصي. ومن كرمي أن أعطي التائب، كأنه لم يعصني، فأين عني تهرب الخلائق؟ وأين عن بابي يتنحى العاصون؟[١].

مدخل خطر

قال الفضيل:

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٩٢ ـ ٩٣.

كم من عالم يدخل على السلطان ومعه دينه، فيخرج وليس معه من دينه شيء، والعياذ بالله تعالى[1].

تجار وتجار

قال الفضيل:

لقد أدركنا الناس وهم يبيعون في السوق، وعلى أحدهم الزحام من الناس، فإذا سمع الأذان للصلاة، نهض مسرعاً وترك البيع.

وأما أهل زماننا، فإن نفق السوق أخروا الصلاة، وإن كسد ناموا[2].

الفقر والورع

قال الفضيل:

من عرف كل ما يدخل في جوفه، كتب عند الله صديقاً، ومن لم يصحبه الورع في فقره، أكل الحرام المحض ولا يشعر[3].

---

(١) تنبيه المغترين ص١٩٤.
(٢) المرجع قبله ص١٩٥.
(٣) تنبيه المغترين ص١٩٦.

هروب

لما حج هارون الرشيد، دق باب الفضيل بمكة، فلم يفتح له، فقال جعفر البرمكي: افتح لرجل يجب عليك طاعته، فعلم الفضيل أنه الرشيد.

ففتح له، فتحادثا طويلاً، ثم أمر له بعشرة آلاف دينار، فلم يقبلها الفضيل، فقال له: فرقها على المساكين. فقال: من جمعها فهو أحق بتفريقها.

ثم غافله وهرب، وترك الرشيد في البيت، فما ظهر الفضيل حتى خرج الرشيد من مكة[١].

الذهب أم الخزف؟

قال الفضيل:

لو كانت الدنيا من ذهب يفنى، والآخرة من خزف يبقى، لكان ينبغي لنا أن نختار خزفاً يبقى على ذهب يفنى.

فكيف وقد اخترنا خزفاً يفنى على ذهب يبقى؟![٢].

---

(١) المرجع قبله ص٢٠١.

(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٢٠٧.

الصديق والرفيق

قال الفضيل:

إنما سمي الصديق لتَصْدُقَه، وإنما سمي الرفيق لترفُّقه، ليس في السفر وحده، بل في السفر والحضر.

قلنا: يا أبا علي، فسِّر لنا هذا.

قال أما الصديق، فإذا رأيت منه أمراً تكرهه، فعظه ولا تدعه يتهور.

وأما الرفيق، فإن كنت أعقل منه فارفقه بعقلك، وإن كنت أحلم منه فارفقه بحلمك، وإن كنت أعلم منه فارفقه بعلمك. وإن كنت أغنى منه فارفقه بمالك(١).

كان العلماء

قال الفضيل:

كان العلماء ربيع الناس، إذا رآهم المريض لم يسرَّه أن يكون صحيحاً، وإذا نظر إليهم الفقير لم يودّ أن يكون غنياً، وقد صاروا اليوم فتنة للناس(٢).

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١١٢.

(٢) العقد الفريد ٢/ ٨٦.

رأس الأدب

قال الفضيل:

رأس الأدب معرفة الرجل قَدْرَهُ[1].

الصاحب

قال الفضيل:

لأن يصحبني فاجر حسن الخلق، أحبّ إليَّ من أن يصحبني عابد سيء الخلق[2].

فضيلة الجوع

كان الفضيل بن عياض يقول لنفسه:

أيَّ شيء تخافين؟ أتخافين أن تجوعي؟ لا تخافي ذلك، أنتَ أهون على الله من ذلك، إنما يجوع محمد ﷺ وأصحابه.

وقال:

إلهي! أجعتني وأجعت عيالي، وتركتني في ظُلَم

---

(١) العقد الفريد ٢/ ٢٤٤.

(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٥٢.

الليالي بلا مصباح، وإنما تفعل ذلك بأوليائك. فبأي منزلة نلت هذا منك؟[1].

كن ذَنَباً

قال الفضيل:

حيث ما كنت فكن ذَنَباً، ولا تكن رأساً، فإن الرأس تهلك. والذَّنَب ينجو[2].

هلاك الأمة بعلمائها

قال الفضيل:

لن تهلك أمة إلا من جهة علمائها السوء، جلسوا على طريق الرحمن، فقطعوا الطريق على عباد الله بأعمالهم الخبيثة[3].

لعل قلبك تغير!

قدم عيسى بن يونس ـ رحمه الله ـ إلى مكة، فأحاط به الناس في المسجد الحرام، وازدحموا عليه.

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٨٢، ٨٣.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ١١٣.
(٣) تنبيه المغترين ص٩٥.

فمرَّ به الفضيل بن عياض، فدنا منه وقال له: يا أخي، انظر إلى قلبك فلعله تغير من كثرة الازدحام عليك.

فنظر عيسى إلى نفسه ساعة، ثم قام فوراً، وترك المجلس من ذلك اليوم[1].

تباعد من القراء

قال الفضيل:

تباعد من القراء، فإنهم إن أحبوك مدحوك بما ليس فيك، وإن غضبوا شهدوا عليك، وقُبِلَ منهم[2].

مخالطة الناس

قال الفضيل:

من خالط الناس، لا ينجو من إحدى اثنتين.

إما أن يخوض معهم إذا خاضوا في الباطل.

أو يسكت إن رأى منكراً، أو يسمع من جليسه شيئاً، فيأثم فيه[3].

---

(١) تنبيه المغترين ص٩٣.

(٢) كتاب الزهد الكبير للبيهقي رقم الأثر (١٥٣).

(٣) المرجع قبله برقم (١٢٩).

مات والدك؟

قال رجل للفضيل: أوصني.

فقال له: هل مات والدك؟

قال نعم:

فقال له: قم عني، فإن من يحتاج إلى من يعظه بعد موت والده لا تنفعه موعظة[1].

الزهد والورع

قيل للفضيل: ما الزهد؟

قال: القنوع.

قيل: ما الورع؟

قال: اجتناب المحارم.

قيل: ما العبادة؟

قال: أداء الفرائض.

قيل: ما التواضع؟

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٨٨.

قال: أن تخضع للحق.

وقال: أشد الورع في اللسان[1].

كامل المروءة

قال الفضيل:

كامل المروءة من بر والديه، وأصلح ماله، وأنفق من ماله، وحسَّن خلقه، وأكرم إخوانه، ولزم بيته[2].

اللذة والراحة

قال الفضيل:

ما أجد لذة ولا راحة ولا قرة عين، إلا حين أخلو في بيتي بربي، فإذا سمعت النداء قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، كراهية أن ألقى الناس، فيشغلوني عن ربي تبارك وتعالى[3].

فرّ من ابن آدم

قال الفضيل:

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣٤.

(٢) الزهد الكبير للبيهقي رقم الأثر (١٥٠).

(٣) المرجع قبله برقم (١٥١).

إذا رأيت الأسد، فلا يهولنَّك. وإذا رأيت ابن آدم، فخذ ثوبك ثم فرَّ، ثم فرَّ[1].

ثلاث خصال

قال الفضيل:

ليس من عبد إلا وفيه ثلاث خصال. أما اثنتين فيسترهما، وأما الثالثة فلا يقوى.

قيل: كيف ذاك يا أبا علي؟

قال: يظهر الرجل حسن الخلق في الخيرات، وليس بحسن خلق، ويظهر السخاء، وليس بسخي. ولكن الثالثة: عقل الرجل عند المحاورة. إن كان له عقل عرفته، لا يقدر يتصنع[2].

صبر قليل

قال الفضيل:

صبر قليل، ونعيم طويل، وعجلة قليلة، وندامة

---

(١) المرجع قبله برقم (١٥٢).

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١١٣.

طويلة، رحم الله رجلاً أخمد ذكره، وبكى على خطيئته قبل أن يرتهن بعمله[1].

صك بشراء دار

قال الفيض بن إسحاق: اشتريت داراً. وكتبت كتاباً، وأشهدت عدولاً، فبلغ ذلك الفضيل بن عياض، فأرسل إليَّ يدعوني فلم أذهب، ثم أرسل إليَّ، فمررت إليه، فلما رآني قال:

يا ابن يزيد! بلغني أنك اشتريت داراً، وكتبت كتاباً، وأشهدت عدولاً.

قلت: قد كان ذلك.

قال: فإنه يأتيك من لا ينظر في كتابك، ولا يسأل عن بينتك، حتى يخرجك منها شاخصاً، يسلمك إلى قبرك خالصاً.

فانظر أن لا تكون اشتريت هذه الدار من غير مالك، أو ورثت مالاً من غير حله، فتكون قد خسرت الدنيا والآخرة.

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١١٢.

ولو كنت حين اشتريت، كتبت على هذه النسخة:

هذا ما اشترى عبد ذليل، من ميت قد أزعج بالرحيل، اشترى منه داراً تعرف بدار الغرور. حد منها في زقاق الفناء إلى عسكر الهالكين، ويجمع هذه الدار حدود أربعة:

الحد الأول: ينتهي منها إلى دواعي العاهات.

والحد الثاني: ينتهي إلى دواعي المصيبات.

والحد الثالث: ينتهي منها إلى دواعي الآفات.

والحد الرابع: ينتهي إلى الهوى المردي، والشيطان المغوي. وفيه باب هذه الدار على الخروج من عز الطاعة إلى الدخول في ذل الطلب.

فما أدركك في هذه الدار، فعلى مبلبل أجسام الملوك، وسالب نفوس الجبابرة، ومزيل ملك الفراعنة، مثل كسرى وقيصر، وتبع وحمير، ومن جمع المال فأكثر، واتخذ ـ ونظر بزعمه ـ الولد، ومن بنى وشيد وزخرف، وأشخصهم إلى موقف العرض إذا نصب الله عز وجل كرسيه لفصل القضاء، وخسر هنالك المبطلون.

يشهد على ذلك العقل، إذا خرج من أسر الهوى، ونظر بالعينين إلى زوال الدنيا، وسمع صارخ الزهد عن عرصاتها.

ما أبين الحق لذي عينين، إن الرحيل أحد اليومين، فبادروا بصالح الأعمال، فقد دنا النقلة والزوال[1].

ليس للإنسان

قال الفضيل:

ليس لأحد أن يقعد مع من شاء، لأن الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[2] ويقول ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾[3].

وليس له أن ينظر إلى من شاء، لأن الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾[4].

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٠١ ـ ١٠٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية (٦٨).

(٣) سورة النساء، الآية (١٤٠).

(٤) سورة النور، الآية (٣٠).

وليس له أن يقول ما لا يعلم، أو يسمع إلى ما شاء، أو يهوى ما شاء، لأن الله عزً وجلً يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[١][٢].

إساءة العمل

قال الفضيل:

ما أطال رجل الأمل، إلا أساء العمل[٣].

البكاء

قال الفضيل:

ليس البكاء بكاء العين، إنما البكاء بكاء القلب، فإن الرجل قد تبكي عيناه وقلبه قاس، لأن بكاء المنافق يكون من رأسه لا من قلبه[٤].

مرارة الدنيا

قال الفضيل:

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٣٦).

(٢) كتاب الزهد الكبير للبيهقي رقم الأثر ٩٣٢.

(٣) المرجع قبله برقم ٤٦٧.

(٤) تنبيه المغترين ص٦٧.

تـجـرع مـرارة الـدنـيـا، أشـد مـن تـجـرع مـرارة الصبر[١].

كفى بالقرآن مؤنسا

قال الفضيل:

كفى بالله محباً، وبالقرآن مؤنساً، وبالموت واعظاً، وكفى بخشية الله علماً، والاغترار به جهلاً[٢].

لا تستوحش طريق الهدى

قال الفضيل:

لا تستوحش طريق الهدى لقلة أهله، ولا تغتر بكثرة الناس[٣].

يوشك أن تبلغ

قال الفضيل لرجل: كم أتت عليك؟

قال: ستون سنة.

---

(١) تنبيه المغترين ص٨١.

(٢) كتاب الزهد الكبير للبيهقي خبر رقم ٥٤٨.

(٣) المرجع قبله، برقم ٢٤٠.

قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك، توشك أن تبلغ.

فقال الرجل: يا أبا علي، إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال له الفضيل: تعلم ما تقول؟

قال الرجل: قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال الفضيل: تعلم ما تفسيره؟

قال الرجل: فسره لي يا أبا علي.

قال: قولك: إنا لله، تقول: أنا لله عبد، وأنا إلى الله راجع، فمن علم أنه عبد الله وأنه إليه راجع، فليعلم بأنه موقوف. ومن علم بأنه موقوف. فليعلم بأنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول، فليعدَّ للسؤال جواباً.

فقال الرجل: فما الحيلة؟

قال: تستره؟

قال: ما هي؟

قال: تحسن فيما بقي، يغفر لك ما مضى وما بقي، فإنك إن أسأت فيما بقي، أخذت بما مضى وما بقي[1].

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١١٣.

شهر الخيرات

قال الفضيل:

لقد أدركنا الناس وهم ينزهون صومهم عن الضحك فيه، ويقولون: إنه شهر المسابقة إلى الخيرات، لا شهر الضحك واللعب والغفلة[1].

الصائم

قال الفضيل:

من لم يحبس جميع جوارحه عن المعاصي، فهو مفطر وإن جاع، ومن حبس جوارحه فهو الصائم حقيقة[2].

عشرة آلاف درهم

أرسل الخليفة بجوائز إلى الفقهاء فقبلوها، وأرسل إلى الفضيل عشرة آلاف درهم فردها.

فقال له أولاده: قد قبل الفقهاء ذلك وهم قدوة الناس. فهلا قبلت أنت الآخر؟

---

(١) تنبيه المغترين ص١٨٥.

(٢) المرجع قبله ص١٨٥.

قال: فبكى وقال: ما مثلي ومثلكم إلا كمثل قوم لهم بقرة يحرثون عليها، فلما هرمت قالوا لبعضهم: اذبحوها قبل أن لا تنتفعوا بجلدها ولحمها، وكذلك أنتم تريدون ذبحي على كبر سني، فاصبروا على الجوع خير لكم من أن تذبحوني.

فقالوا: ما عندنا شيء، نتقوت به اليوم.

قال: فأخذ سكيناً وقطع لهم قطعة من بساط بالٍ كان تحته، وقال: اشتروا بثمن هذه شيئاً تأكلونه[1].

مجالسة الغافلين

قال الفضيل:

لقد أدركنا الناس وهم ينفرون من مجالسة الأغنياء، ومن مجالسة كل غافل عن الله تعالى[2].

باب العفو أوسع

قال الفضيل:

إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلاً، فقل: يا أخي،

---

(١) المرجع قبله ص١٨٩.

(٢) تنبيه المغترين ص١٩٣.

اعف عنه، فإن العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو، ولكن انتصر كما أمرني الله عز وجل.

فقل: فإن كنت تحسن تنتصر، مِثْلاً بمثل، وإلا فارجع إلى باب العفو، فإنه باب أوسع، فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله، وصاحب العفو ينام الليل على فراشه، وصاحب الانتصار يقلب الأمور[1].

إن قدرت أن لا تعرف

قال الفضيل:

إن قدرتَ أن لا تعرف فافعل، وما عليك أن لا تعرف، وما عليك أن لا يثنى عليك، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس، إذا كنت محموداً عند الله عز وجل[2].

قبل أن تندموا

قال الفضيل:

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١١٢.

(٢) كتاب الزهد الكبير للبيهقي خبر قم ١٤٨.

تفكروا واعملوا من قبل أن تندموا، ولا تغتروا بالدنيا، فإن صحيحها يقسم، وجديدها يبلى، ونعيمها يفنى. وشبابها يهرم[1].

خصلتان

قال الفضيل:

خصلتان تقسيان القلب: كثرة النوم، وكثرة الأكل[2].

أخمل ذكرك

قال الفضيل:

رحم الله عبداً أَخْمَلَ ذكره، وبكى على خطيئته، قبل أن يرتهن بعمله[3].

ذكر الله دواء

قال الفضيل:

---

(١) المرجع قبله برقم ٤٨٤.
(٢) المرجع قبله برقم ٤١٠.
(٣) المرجع قبله برقم ١٣١.

إذا ذكرتم الخلق في مجالسكم، فاذكروا الله تعالى، فإن ذكره دواء لداء ذكر الخلق[1].

كن غنياً بيومك

قال الفضيل:

يا ابن آدم، إنما يفضِّلك الغنى بيومك[2]، أمسٌ قد خلا، وغدٌ لم يأت، فإن صبرت يومك، أحمدتَ أمرك[3]، وقويت على غدك، وإن عجزت يومك، أذممت أمرك[4]، وضعفت عن غدك.

وإن الصبر يورث البرء، وإن الجزع يورث السُّقم، وبالسُّقم يكون الموت، وبالبرء تكون الحياة[5].

زرع المؤمن

قال الفضيل:

---

(١) تنبيه المغترين ص٦٦.
(٢) أي أن تكون غنيا بيومك، عاملاً فيه ما يسعدك.
(٣) أي كان أمرك محموداً.
(٤) أي كان أمرك مذموماً.
(٥) البيان والتبيين ٣/ ١٣٩.

المؤمن يزرع نخلاً، ويخاف أن يثمر شوكا، والمنافق يزرع شوكاً، ويطلب أن يثمر رطباً[1].

سفيان والفضيل

قال أحمد بن عاصم:

التقى سفيان الثوري وفضيل بن عياض، فتذاكرا فبكيا.

فقال سفيان: إني لأرجو أن يكون مجلسنا هذا أعظم مجلس جلسناه بركة.

فقال الفضيل: نرجو، لكني أخاف أن يكون أعظم مجلس جلسناه علينا شؤما، أليس نظرتَ إلى أحسن ما عندك فتزينت لي به، وتزينت لك به؟

قال: فبكى سفيان حتى علا نحيبه ثم قال: أَحييتني أحياك الله[2].

غاية الحب

سأل رجل الفضيل فقال: يا أبا علي، متى يبلغ الرجل غايته في حب الله تعالى؟.

---

(١) تنبيه المغترين ص٦١.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١١٤.

فقال له الفضيل: إذا كان عطاؤه ومنعه إياك، عندك سواء، فقد بلغت الغاية من حبه[1].

الرهبة والزهد

قال الفضيل:

رهبةُ العبد من الله، على قدر علمه بالله.

وزهادتُه في الدنيا، على قدر رغبته في الآخرة.

من عمل بما علم، استغنى عما لا يعلم، ومن عمل بما علم، وفقه الله لما لا يعلم.

ومن ساء خلقه شان دينه وحسبه ومروءته[2].

الخلاص

سأل عبد الله بن مالك الفضيل فقال: يا أبا علي، ما الخلاص مما نحن فيه؟

قال: أَخْبِرْني، من أطاع الله، هل تضره معصية أحد؟

قال: لا.

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١١٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٦.

قال: فمن يعصي الله، هل تنفعه طاعة أحد؟

قال: لا.

قال: هو الخلاص إن أردت الخلاص[1].

صاحب حسن الخلق

قال الفضيل:

إذا خالطت فخالط حسن الخلق، فإنه لا يدعو إلا إلى خير، وصاحبه منه في راحة، ولا تخالط سيء الخلق، فإنه لا يدعو إلا إلى شر، وصاحبه منه في عناء[2].

هدية الحكمة

قال الفضيل:

نعمت الهديَّةُ الكلمةُ من الحكمة، يحفظها الرجل، حتى يلقيها إلى أخيه[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٦.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٩٦.

(٣) البيان والتبيين ١/ ٢٥٨.

التكلف

قال الفضيل:

إنما تقاطع الناس بالتكلف، يزور أحدهم أخاه فيتكلف له، فيقطعه ذلك عنه[1].

لم يصبروا

قيل للفضيل: ألا تأمر وتنهى؟

فقال: إن قوماً أمروا ونهوا فكفروا، وذلك أنهم لم يصبروا على ما أصيبوا[2].

أيهما أزهد

قال الرشيد للفضيل يوماً: ما أزهدك!

فقال: أنت أزهد مني، لأني أنا زهدت في الدنيا، التي هي أقل من جناح بعوضة، وأنت زهدت في الآخرة التي لا قيمة لها[3].

فأنا زاهد في الفاني، وأنت زاهد في الباقي،

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ٨٩.
(٢) إحياء علوم الدين ٢/ ٣١١.
(٣) أي أن قيمتها مرتفعة جداً لا يمكن تقديرها.

ومن زهد في درة، أزهد ممن زهد في بعرة[1].

تزينت لهم

قال الفضيل:

تزينت لهم بالصوم، فلم ترهم يرفعون بك رأساً، تزينت لهم بالقرآن، فلم ترهم يرفعون بك رأساً، تزينت لهم بشيء بعد شيء، إنما هو لحب الدنيا[2].

سيد القبيلة

قال الفضيل:

سيد القبيلة في آخر الزمان منافقها، وهناك يحذر منهم، لأنهم داء لا دواء لهم[3].

العظمة والخوف

قال الفضيل:

خوف العبد من الله على قدر معرفته به.

وقال:

---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٢٢٦.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ١٦٠.

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥٨.

إن لله عباداً إذا ذكروا عظمة الله تقطعت قلوبهم في بطونهم، ثم تندمل، ثم تنقطع، ثم تندمل، ثم تنقطع، ثم تندمل أبداً ما عاشوا[1].

غبطة

قال الفضيل:

والله إني لا أغبط نبياً مرسلاً، ولا ملكاً مقرباً، لأن كل هؤلاء يشاهدون أهوال يوم القيامة، وإنما أغبط من لم يخلق بعد[2].

من وقي خمساً

قال الفضيل:

من وقي خمساً، فقد وقي شر الدنيا والآخرة: العجب، والرياء، والكبر، والإزراء، والشهوة[3].

سواد الليل

قال الفضيل:

---

(١) تنبيه المغترين ص٥٠.
(٢) تنبيه المغترين ص٥١.
(٣) حلية الأولياء ٨/ ٩٥.

أدركت أقواماً يستحيون من الله في سواد الليل، من طول الهجعة، إنما هو على الجنب، فإذا تحرك قال: ليس هذا لك، قومي خذي حظك من الآخرة[1].

تقسيم المحبة

قال الفضيل:

إن الله تعالى يقسم المحبة كما يقسم الرزق، وكل ذا من الله تعالى، وإياكم والحسد، فإنه ليس له دواء، ومن عامل الله عز وجل بالصدق، أورثه الله عزَّ وجلٍّ الحكمة[2].

لعله مقتك

قال الفضيل:

ما يؤمنك أن تكون بارزت الله بعمل مقتك عليه، فأغلق دونك أبواب المغفرة، وأنت تضحك، كيف ترى تكون حالك[3].

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ١٦١.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٩٩.

(٣) صفة الصفوة ٢/ ١٦١.

محبة الله

قال الحسين بن زياد: أخذ فضيل بن عياض بيدي فقال:

يا حسين، ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا، فيقول الرب: من ادعى محبتي، إذا جنَّه الليل نام عني؟! أليس كل حبيب يحب خلوة حبيبه، ها أنا ذا مطّلع على أحبائي، إذا جنّهم الليل مثلت نفسي بين أعينهم فخاطبوني على المشاهدة، وكلموني على حضوري، غداً أقر أعين أحبائي في جناتي[1].

كلام المؤمن

قال الفضيل:

المؤمن قليل الكلام، كثير العمل، والمنافق كثير الكلام قليل العمل.

كلام المؤمن حكم، وصمته تفكر، ونظره عبرة، وعمله بر، وإذا كنت كذا لم تزل في عبادة[2].

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٩٩.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٩٨.

ارحم ثلاثة

قال الفضيل:

إني لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر، وعالماً تلعب به الدنيا[1].

ذكر الله

قال الفضيل:

بلغنا أن الله عز وجل قال: عبدي اذكرني بعد الصبح ساعة، وبعد العصر ساعة، أكفك ما بينهما[2].

كلمة

قال الفضيل لرجل:

لأعلِّمنَّك كلمة هي خير لك من الدنيا وما فيها:

والله لئن علم الله منك إخراج الآدميين من قلبك، حتى لا يكون في قلبك مكان لغيره. لم تسأله شيئاً إلا أعطاك[3].

---

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٥٩.
(٢) إحياء علوم الدين ١/ ٢٩٥.
(٣) صفة الصفوة ٢/ ١٦١.

الشيطان عدو

قال الفضيل:

كم أراد عدو الإنسان أن يضره، فيصرفه الله عنه ولا يشعر. ثم قرأ:

﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ﴾[1][2].

الرياسة والصلاح

قال الفضيل:

ما أحب أحد الرياسة إلا أحب ذكر الناس بالنقائص والعيوب، ليتميز هو بالكمال، ويكره أن يذكر الناس أحداً عنده بخير، ومن عشق الرياسة فقد تودع من صلاحه[3].

ابتليت بعظيم

قال الحسين بن زياد: دخلت على فضيل يوماً، فقال:

---

(١) سورة المائدة، الآية (١١).

(٢) تنبيه المغترين ص٤١.

(٣) تنبيه المغترين ص٤٦.

عساك إن رأيت في ذلك المسجد ـ يعني المسجد الحرام ـ رجلاً شراً منك، إن كنت ترى أن فيه شراً منك، فقد ابتليت بعظيم[1].

أهل الفضل

قال الفضيل:

أهل الفضل هم أهل الفضل، ما لم يروا فضلهم[2].

أهل البلاء

قال الفضيل:

ابكوا على أهل البلاء، وإن كان جرمكم أعظم من جرمهم، فيحتمل أنكم تعاقبون على ذنوبكم، كما يعاقبون أو أشد[3].

حتى تفرغ

قال الفضيل:

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ١٦١.

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥٨.

(٣) تنبيه المغترين ص٢٨.

كما أن القصور لا تسكنها الملوك حتى تفرغ، كذلك القلب لا يسكنه الحزن من الخوف حتى يفرغ[1].

الفرائض رؤوس الأموال

قال الفضيل:

لن يتقرب العباد إلى الله بشيء أفضل من الفرائض، الفرائض رؤوس الأموال، والنوافل الأرباح[2].

حلاوة العبادة

قال الفضيل:

حزن الدنيا يذهب بهمِّ الآخرة، وفرح الدنيا للدنيا يذهب بحلاوة العبادة[3].

شكوى

قال سفيان بن عيينة: دخلنا على الفضيل بن عياض نعوده، فقال:

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٠١.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٠٠.
(٣) حلية الأولياء ٨/ ١٠٠.

لو لم تجيؤوا لكان أحبَّ إليَّ من مجيئكم، إني أخاف أن أشكو لكم ربي[1].

ثواب المظلوم

قال الفضيل:

إذا أراد الله عزَّ وجلَّ أن يتحف العبد سلط عليه من يظلمه[2].

أصحاب البدع

قال الفضيل:

من أحب صاحب بدعة، أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه.

وقال:

إذا رأيت مبتدعاً في طريق، فخذ في طريق آخر.

وقال:

لا يرتفع لصاحب بدعة إلى الله عز وجل عمل.

---

(١) تنبهي المغترين ص٣٥.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٠٤.

وقال:

من أعان صاحب بدعة، فقد أعان على هدم الإسلام.

وقال:

نظر المؤمن إلى المؤمن جلاء القلب، ونظر الرجل إلى صاحب البدعة، يورث العمى.

وقال:

من أتاه رجل فشاوره، فدله على مبتدع، فقد غش الإسلام.

وقال: إني أحب من أحبهم الله، وهم الذين يسلم منهم أصحاب محمد ﷺ، وأبغض من أبغضه الله، وهم أصحاب الأهواء والبدع.

وقال:

لأن آكل عند اليهودي والنصراني، أحب إلي من أن آكل عند صاحب بدعة، فإني إن أكلت عندهما لا يقتدى بي، وإذا أكلت عند صاحب بدعة اقتدى بي الناس.

أحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد.

وعمل قليل في سنَّة، خير من عمل صاحب بدعة.

ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة، ومن جلس إلى صاحب بدعة فاحذره.

وصاحب بدعة لا تأمنه على دينك ولا تشاوره في أمرك، ولا تجلس إليه، فمن جلس إليه ورثه الله عز وجل العمى.

وإذا علم الله من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة، رجوت أن يغفر الله له، وإن قلَّ عمله، فإني أرجو له، لأن صاحب السنة يعرض كل خير، وصاحب البدعة لا يرتفع له إلى الله عمل، وإن كثر عمله.

وقال:

إن لله عز وجل ملائكة، يطلبون حلق الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك، لا يكون مع صاحب بدعة، فإن الله لا ينظر إليهم.

وعلامة النفاق أن يقوم الرجل، ويقعد مع صاحب بدعة.

وأدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة، وهم ينهون عن أصحاب البدعة[١].

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٠٣ ـ ١٠٤.

القيام والصيام

قال الفضيل:

إذا لم تقدر على قيام الليل، وصيام النهار، فاعلم أنك محروم، كبَّلتك خطيئتك[1].

حبس اللسان

قال الفضيل:

من استوحش من الوحدة، واستأنس بالناس، لم يسلم من الرياء، لا حج ولا جهاد أشدُّ من حبس اللسان، وليس أحد أشد غماً ممن سجن لسانه[2].

شغلك في نفسك

قال الفضيل:

يكون شغلك في نفسك، ولا يكون شغلك في غيرك، فمن كان شغله في غيره فقد مُكِرَ به[3].

النصح للأمة

قال الفضيل:

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣٦.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ١٠٢.

لم يدرك عندنا من أدرك، بكثرة صيام ولا صلاة، وإنما أدرك بسخاء الأنفس وسلامة الصدور، والنصح للأمة(١).

ربّ ضاحك

قال الفضيل:

ربَّ ضاحك، وأكفانه قد خرجت من عند القصار(٢).

عالمان

قال الفضيل:

إنما هما عالمان: عالم دنيا، وعالم آخرة.

فعالم الدنيا علمه منشور، وعالم الآخرة علمه مستور.

فاتبعوا عالم الآخرة، واحذروا عالم الدنيا، لا يصدكم بسكره.

ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٠٣.

(٢) تنبيه المغترين ص٢٦.

وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ الآية[1] تفسير الأحبار: العلماء، والرهبان: الزهاد.

ثم قال الفضيل: إن كثيراً من علمائكم زيه أشبه بزي كسرى وقيصر منه لمحمد ﷺ إن محمداً لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، لكن رفع له علم فسما إليه[2].

صلاح العباد والبلاد

قال الفضيل:

لو أن لي دعوة مستجابة ما صيرتها إلا في الإمام.

قيل له: وكيف ذلك يا أبا علي؟

قال: متى ما صيرتها في نفسي لم تجزني، ومتى صيرتها في الإمام. فصلاح الإمام صلاح العباد والبلاد.

قيل: وكيف ذلك يا أبا علي؟ فسِّر لنا هذا؟

قال: أما صلاح البلاد، فإذا أمن الناس ظلم

---

(١) سورة التوبة، الآية (٣٤).

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٩٢.

الإمام، عمروا الخرابات ونزلوا الأرض، وأما العباد، فينظر إلى قوم من أهل الجهل فيقول: قد شغلهم طلب المعيشة عن طلب ما ينفعهم من تعلم القرآن وغيره، فيجمعهم في دار خمسين خمسين، أقل أو أكثر، يقول للرجل: لك ما يصلحك، وعلم هؤلاء أمر دينهم.

وانظر ما أخرج الله عز وجل من فيهم مما يزكي الأرض فردَّه عليهم.

قال: فكان صلاح العباد والبلاد.

فقبل عبد الله بن المبارك جبهته، وقال: يا معلم الخير، من يحسن هذا غيرك[1]؟

متى يفرح العالم

قال الفضيل:

لو أن حامل العلم عمل به، لتجرع مرارته، ولم يفرح به، لأنه كله تكاليف، وكلما ازداد علماً، ازداد تكاليف، فلا ينبغي للعالم أن يفرح بعلمه، إلا بعد مجاوزة الصراط[2].

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٩١ ـ ٩٢.

(٢) تنبيه المغترين ص١٨.

خوف الله

قال الفضيل:

من خاف الله لم يضره أحد، ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد[1].

مثل وأمل

قال الفضيل:

إنما أمس مثل، واليوم عمل، وغداً أمل[2].

طلب الحلال

قال الفضيل:

لم يتزين الناس بشيء أفضل من الصدق وطلب الحلال.

فقال ابنه علي: يا أبةِ إن الحلال عزيز؟!

قال: يا بني، وإن قليله عند الله كثير[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٦.
(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٧.
(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٦.

صغر الذنب وعظمه

قال الفضيل:

بقدر ما يصغر الذنب عندك، يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك، يصغر عند الله[١].

حامل القرآن

قال الفضيل:

حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي له أن يلغو مع من يلغو، ولا أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، وينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى الخلق حاجة لا إلى الخلفاء فمن دونهم، وينبغي أن يكون حوايج الخلق إليه[٢].

العلم والحكمة

قال الفضيل:

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٧.
والمعنى: أن الذنب من حيث هو مخالفة، ولكنه عندما يصغر عند الإنسان، فإنه يقع في مخالفة أخرى، وهي استصغار أمر مخالفة الله تعالى، وبهذا يستفحل ويعظم.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٩٢.

العلماء كثير، والحكماء قليل، وإنما يراد من العلم الحكمة، فمن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً[1].

علامة الرياء

قال الفضيل:

إذا رأيتم العالم، أو العابد، ينشرح لذكره بالصلاح عند الأمراء، وأبناء الدنيا، فاعلموا أنه مراءٍ.

وقال:

من علامة المرائين بعلمهم، أن يكون علمهم كالجبال، وعملهم كالذر[2].

إيثار الدين

قال الفضيل:

أكذب الناس، العائد في ذنبه.

وأجهل الناس، المدلُّ بحسناته.

وأعلم الناس بالله، أخوفهم منه.

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٩٢.

(٢) تنبيه الغافلين ص١٨.

ولن يكمل عبد حتى يؤثر دينه على شهوته.

ولن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه[1].

قذارة الدنيا

قال الفضيل:

لو أن الدنيا كلها حلال، لا أحاسب بها، لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مرَّ بها أن تصيب ثوبه[2].

الخوف والرجاء

قال الفضيل:

الخوف أفضل من الرجاء ما دام الرجل صحيحاً، فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف.

يقول: إذا كان محسناً في صحته عظم رجاؤه عند الموت وحسن ظنه، وإذا كان في صحته مسيئاً ساء ظنه عند الموت ولم يعظم رجاؤه[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٧.

(٢) البداية والنهاية ١٠/ ٢٢٦.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٨٩.

بكاء على عالم

قال الفضيل:

إني لأبكي على العالم إذا رأيت الدنيا تلعب به، ولو كان لأهل القرآن والحديث صبر على الزهد في الدنيا، ما تمندل بهم الناس.

واسوأتاه من أن يقال: فلان العالم أو العابد، قد قدم حاجاً على نفقة فلان التاجر[1].

إخفاء العمل

قال الفضيل:

خير العلم والعمل. ما خفي عن الناس.

وقال:

من أراد أن ينظر إلى مراء، فلينظر إلي.

وقال:

لو صحت النية في العلم، لم يكن عمل أفضل منه، ولكنهم تعلموه لغير العمل به، وجعلوه شبكة لصيد الدنيا[2].

---

(١) تنبيه المغترين ص١٦. وتمندل: تمسح.

(٢) تنبيه المغترين ص١٧.

كيف أصبحت

عن إسحاق بن إبراهيم قال: قال رجل للفضيل: كيف أصبحت؟ فكان يثقل عليه: كيف أصبحت؟ وكيف أمسيت؟

فقال: في عافية.

فقال: كيف حالك؟

فقال: عن أي حال تسأل؟ عن حال الدنيا، أو حال الآخرة؟

إن كنت تسأل عن حال الدنيا، فإن الدنيا قد مالت بنا، وذهبت بنا كل مذهب، وإن كنت تسأل عن حال الآخرة، فكيف ترى حال من كثرت ذنوبه، وضعف عمله، وفني عمره، ولم يتزود لمعاده، ولم يتأهب للموت، ولم يخضع للموت، ولم يتشمر للموت، ولم يتزين للموت، وتزين للدنيا.

هيه، وقعد يحدث ـ يعني نفسه ـ واجتموا حولك يكتبون عنك، بخٍ فقد تفرغت للحديث!!

ثم قال: هاه ـ وتنفس طويلاً ـ، ويحك أنت تحسن تحدث! أو أنت أهل أن يحمل عنك؟ استحي يا أحمق بين الحمقان، لولا قلة حيائك، وسفاهة وجهك، ما جلست تحدث وأنت أنت.

أما تعرف نفسك؟ أما تذكر ما كنت، وكيف كنت؟ أما لو عرفوك ما جلسوا إليك، ولا كتبوا عنك، ولا سمعوا منك شيئاً أبداً.

فيأخذ في مثل هذا، ثم يقول:

ويحك أما تذكر الموت؟ أما للموت في قلبك موضع؟ أما تدري متى تؤخذ فيرمى بك في الآخرة، فتصير في القبر وضيقه ووحشته، أما رأيت قبراً قط؟ أما رأيت حين دفنوه؟ أما رأيت كيف سلوه في حفرته، وهالوا عليه التراب والحجارة؟

ثم قال: ما ينبغي لك أن تتكلم بفمك كله ـ يعني نفسه ـ تدري من تكلم بفقه كله، عمر بن الخطاب، كان يطعمهم الطيب ويأكل الغليظ، ويكسوهم اللين، ويلبس الخشن[1].

لو خيرت

قال الفضيل:

لو خيِّرت بين أن أبعث فأدخل الجنة، وبين أن لا أبعث، لاخترت أن لا أبعث[2].

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٨٥ ـ ٨٦.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٨٤.

لأن أكون هذا التراب

قال الفضيل:

والله لأن أكون هذا التراب، أو هذا الحائط، أحب إلي من أن أكون في مسلخ أفضل أهل الأرض اليوم، ولو أن أهل السماء وأهل الأرض طلبوا أن يكونوا تراباً فشفعوا، كانوا قد أعطوا عظيماً، ولو أن جميع أهل الأرض من جنّ وإنس، والطير الذي في الهواء، والوحش الذي في البر، والحيتان التي في البحر، علموا الذي تصيرون إليه، ثم حزنوا لك وبكوا، كنت موضع ذلك[١].

خوف الرياء

قال الفضيل:

ما دام العبد يستأنس بالناس، فلا يسلم من الرياء.

وقال:

ومن لم يكن في أعماله أكيس من ساحر. وقع في الرياء.

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٨٥.

وقال:

أدركنا الناس وهم يراؤون بما يعملون، فصاروا الآن يراؤون بما لا يعملون[1].

الشرك والرياء

قال الفضيل:

العمل لأجل الناس شرك، وترك العمل لأجل الناس رياء، والإخلاص أن يعافيك الله منهما[2].

الدعاء للإمام

قال الفضيل:

لو أن لي دعوة مستجابة لجعلتها للإمام، لأن به صلاح الرعية، فإذا صلح أمنت العباد والبلاد[3].

أنت تخاف الموت؟

قال الفضيل:

أنت تخاف الموت؟ لو قلت إنك تخاف الموت

---

(١) تنبيه المغترين ١٢ و ١٣.
(٢) البداية والنهاية ١٠/٢٢٦.
(٣) البداية والنهاية ١٠/٢٢٦.

ما قبلت منك، ولو خفتَ الموت ما نفعك طعام أو شراب ولا شيء من الدنيا، ولو عرفتَ الموت حق معرفته ما تزوجت ولا طلبت الولد[1].

قصور العقل

قال الفضيل:

ما يسرني أن أعرف هذا الأمر حق معرفته، إذاً لطاش عقلي، ولم أنتفع بشيء[2].

لا تجعل الرجال أوصياءك

قال الفضيل:

لا تجعل الرجال أوصياءك، كيف تلومهم أن يضيعوا وصيتك، وأنت قد ضيعتها في حياتك، وأنت بعد هذا تصير إلى بيت الوحشة، وبيت الظلمة، وبيت الدود، ويكون زائرك فيها منكراً ونكيراً، وقبرك روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار.

ثم بكى الفضيل وقال: أعاذنا الله وإياكم من النار[3].

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٨٥.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٨٥.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٨٧.

الصدق في السر

قال الفضيل:

عاملوا الله عزَّ وجلَّ بالصدق في السر، فإن الرفيع من رفعه الله، وإذا أحب الله عبداً أسكن محبته في قلوب العباد[1].

سؤال الصادقين

قال الفضيل:

إذا كان الله يسأل الصادقين عن صدقهم، مثل إسماعيل وعيسى عليهما الصلاة والسلام، فكيف بالكاذبين أمثالنا[2].

أمدبر غير الله؟

قال الفضيل ـ وقد شكا إليه أهل الكوفة القحط ـ:

أمدبراً غير الله تريدون؟[3]

أصل الزهد

قال الفضيل:

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٨٨.

(٢) تنبيه المغترين للشعراني ص١٤.

(٣) العقد الفريد ٣/ ١٢٦.

أصل الزهد في الدنيا، الرضا عن الله تعالى[1].

التوكل

قال الفضيل:

إني لأستحي من الله أن أقول: توكلت على الله، ولو توكلت عليه حق التوكل، ما خفت ولا رجوت غيره[2].

الاستخارة

قال الفضيل:

استخيروا الله ولا تتخيروا عليه، فربما اختار العبد أمراً هلاكه فيه[3].

الدراهم أيسر من الحديث

قال إسحاق بن إبراهيم: قال لي الفضيل:

لو طلبت مني الدنانير، كان أيسر عليَّ من أن تطلب مني الحديث.

---

(١) العقد الفريد ٣/ ١٢٩.

(٢) العقد الفريد ٣/ ١٣٧.

(٣) العقد الفريد ٣/ ١٧١.

فقلت له: لو حدثتني بأحاديث فوائد ليست عندي، كان أحب إليَّ من أن تهب لي عددها دنانير.

قال: إنك مفتون، أما والله لو عملت بما سمعت لكان لك في ذلك شغل عما لم تسمع؟! سمعت سليمان بن مهران يقول: إذا كان بين يديك طعام تأكله، فتأخذ اللقمة فترمي بها خلف ظهرك، كلما أخذت لقمة رميت بها خلف ظهرك، متى تشبع[1]؟!.

قالوا: رجل صالح

قال الفضيل:

تزينت للناس، وتصنعت لهم، وتهيأت ولم تزل ترائي حتى عرفوك، فقالوا: هو رجل صالح، فأكرموك، وقضوا لك الحوايج، ووسعوا لك في المجلس، وعظموك،

خيبة لك! ما أسوأ حالك! إن كان هذا شأنك[2]

طول تفكير

قال الفضيل:

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٨.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١١٠.

طالت فكرتي في هذه الآية: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾[1][2].

من نعم الله

قال الفضيل:

بلغني أن الله يقول في بعض ما يمنُّ به على عبده: ألم أنعم عليك؟ ألم أسترك؟ ألم أخمل ذكرك[3].

كثرة المعارف

قال الفضيل:

من سخافة عقل الرجل، كثرة معارفه[4].

الحياة الطيبة

قال الفضيل:

---

(١) سورة الكهف، الآيتان ٧ ـ ٨.

(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٢٠٧.

(٣) إحياء علوم الدين ٣/ ٢٧٧.

(٤) تنبيه المغترين ص١٥٦.

اسلك الحياة الطيبة: الإسلام والسنة[1].

فوائد الوحدة

قال الفضيل:

إنما طلبوا العزلة والوحدة لأنها تورث الانتباه من رقدة الغفلة، وتورث كثرة مراقبة الله تعالى بالغيب. وما أحد عبد ربه إلا أحب أن لا يشعر به أحد.

فإن استطعت أن تمشي للناس، ولا يمشوا إليك، وتسألهم ولا يسألونك، فافعل.

ووالله إني لألقى الرجل فلا يسلم علي فأرى الفضل له، وكذلك إذا مرضت ولم يعدني[2].

الراحة في الوحدة

دخل رجل على الفضيل مرة مهاجمة، فقام وترك له البيت.

فقال له الرجل: ما بالك يا أبا علي، قمت رحمة لي، لماذا؟

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٩٩.

(٢) تنبيه المغترين ص١٥٦.

فقال له الفضيل: وهل تريد إلا أن تتزين لي، وأتزين لك، وأنا ـ والله ـ لا أجد لذة ولا راحة إلا إذا كنت وحدي[1].

المؤمن مغموم

قال الفضيل:

المؤمن في الدنيا مغموم، يتزود ليوم معاده، قليل فرحه.

ثم بكى[2].

فرّغ قلبك

قال المأمون: قال لي الرشيد: ما رأت عيناي مثل فضيل بن عياض، دخلت عليه فقال لي:

فرغ قلبك للحزن وللخوف حتى يسكناه، فيقطعاك عن المعاصي، ويباعداك من النار[3].

توبة الكذابين

قال الفضيل:

---

(١) تنبيه المغترين ص١٥٦.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١١٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣٨.

استغفار الله تعالى بلا إقلاع، توبة الكذابين[1].

كانت الدنيا مقبلة

قال الفضيل:

إن من كان قبلكم، كانت الدنيا مقبلة عليهم، وهم يفرون منها، ولهم من القدم ما لهم.

وهي اليوم عنكم مدبرة، وأنتم تسعون خلفها، ولكم من الأحداث ما لكم!! وأي حسرة على امرئ أكبر من أن يؤتيه الله عز وجل علماً فلم يعمل به. فسمعه منه غيره فعمل به، فيرى منفعته يوم القيامة لغيره[2].

الهيبة

قال الفضيل:

إنما يهابك الخلق، على قدر هيبتك لله[3].

نعم السائل

قال الفضيل:

---

(١) تنبيه المغترين ص١٥٩.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٠٩.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ١١٠.

نعم السائلون، يحملون أزوادنا إلى الآخرة بغير أجرة، حتى يضعوها في الميزان بين يدي الله تعالى[1].

لا أراهم ولا يروني

بلغ الفضيل أن ولده علياً قال:

وددت أني بمكان، أرى الناس منه ولا يروني.

فقال أبوه: هلا أتمها؛ فقال: لا أراهم ولا يروني[2].

(ونبلو أخباركم)

قال إبراهيم بن الأشعث:

سمعت فضيلاً يقول ذات ليلة، وهو يقرأ سورة محمد، ويبكي وردد هذه الآية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾[3].

وجعل يقول: ونبلو أخباركم، ويردد: وتبلو

---

(١) تنبيه المغترين ص١٤٩.

(٢) تنبيه المغترين ص١٥٤.

(٣) سورة محمد، الآية (٣١).

أخبارنا؟ إن بلوت أخبارنا فضحتنا، وهتكت أستارنا، إنك إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا ويبكي[(١)].

مقام الفقر

قال الفضيل:

من شرط الصدق في الأخوة، أن يكرم الشخص أخاه إذا افتقر، أكثر مما كان يكرمه حال الغنى، وذلك لأن الفقر أشرف من الغنى، وصاحبه أحق بالإكرام من حيث المقام، لا من حيث حاجة الفقر[(٢)].

ميزان الورع

قال الفضيل:

إن الرجل ليكون له موقع من قلبي، فإذا رأيته وسع في الطعام، سقط من عيني لقلة ورعه[(٣)].

دعاء

قال إبراهيم بن الأشعث: سمعت الفضيل بن عياض ـ في مرضه الذي مات فيه ـ يقول:

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١١١.

(٢) تنبيه المغترين ص١٤٤.

(٣) تنبيه المغترين ص١٤٧.

ارحمني بحبي إياك، فليس شيء أحب إليَّ منك.

قال: وسمعته ـ وهو يشتكي ـ يقول:

مسَني الضر وأنت أرحم الراحمين.

قال: وسمعته كثيراً يقول:

ارحمني فإنك بي عالم ولا تعذبني فإنك علي قادر.

قال: وسمعته يقول:

اللهم زهدنا في الدنيا، فإنه صلاح قلوبنا وأعمالنا، وجميع طلباتنا، ونجاح حاجاتنا.

واعتل الفضيل، فاحتبس عليه البول فقال:

بحبي إياك لما أطلقته.

قال: فبال[1].

يغوصون على النار

قال يحيى بن يوسف:

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٠٩.

لما دخل الفضيل على هارون أمير المؤمنين، قال: أيكم هو؟

قال: فأشاروا إلى أمير المؤمنين.

فقال: أنت هو يا حسن الوجه؟ لقد وليت أمراً عظيماً، إني ما رأيت أحداً هو أحسن وجها منك، فإن قدرت أن لا تسود هذا الوجه بلفحة من النار فافعل.

فقال: عظني.

فقال: ماذا أعظك، هذا كتاب الله تعالى بين الدفتين، انظر ماذا عمل بمن أطاعه، وماذا عمل بمن عصاه.

وقال: إني رأيت الناس يغوصون على النار غوصاً شديداً، ويطلبونها طلباً حثيثاً، أما والله لو طلبوا الجنة بمثلها ـ أو أيسر ـ لنالوها.

فقال: عد إليَّ.

فقال: لو لم تبعث إليَّ لم آتك. وإن انتفعت بما سمعت مني عدت إليك[1].

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٠٥.

حتى يبسط العدل

قال الفضيل:

إني لأستحي من الله أن أشبع، حتى أرى العدل قد بسط، وأرى الحق قد قام[١].

المعروف

قال الفضيل:

نحن لا نعدُّ القرض من المعروف، لأن صاحبه يطلب المقابلة، وإنما المعروف المسامحة للناس في كل ما يطلبونه منك، في الدنيا والآخرة[٢].

من المعروف

قال الفضيل:

من المعروف أن ترى المنَّة لأخيك عليك، إذا أخذ منك شيئاً، لأنه لولا أخذه منك، ما حصل لك الثواب.

وأيضاً فإنه خصَّك بالسؤال، ورجا فيك الخير دون غيرك[٣].

---

(١) حلية الأولياء ٨/١٠٨.

(٢) تنبيه المغترين ص١٤٠.

(٣) تنبيه المغترين ص١٤٢.

فاكهة القراء

قال الفضيل:

فاكهة القراء ـ في هذا الزمان ـ الغيبة، وتنقيص بعضهم بعضاً، خوفاً أن يعلو شأن أقرانهم ويشتهروا بالعلم والزهد والورع دونهم.

وبعضهم يجعل الغيبة كالأدم في الطعام، وهو أخفهم إثماً[1].

مثال المغتاب

قال الفضيل:

مثال من يغتاب الناس، مثال من ينصب منجنيقاً لحسناته، ويصير يرميها شرقاً وغرباً في كل جهة[2].

احذر ثلاثاً

قال الفضيل:

ما على الرجل إذا كان فيه ثلاث خصال:

---

(١) تنبيه المغترين ص١٣٠.

(٢) تنبيه المغترين ص١٣١.

إذا لم يكن صاحب هوى.

ولا يشتم السلف.

ولا يخالط السلطان[1].

الجعل أطوع

قال الفضيل لابنه علي[2]:

لعلك ترى أنك على شيء؟! الجعل أطوع لله منك[3].

لا تفرح

قال الفضيل ورأى رجلاً يضحك:

ألا أحدثك حديثاً حسناً؟

قال: بلى.

قال: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾[4][5].

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٠٤.

(٢) وكان علي بن الفضيل من العباد الخائفين رحمه الله.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ١٠٨.

(٤) سورة القصص، الآية (٧٦).

(٥) حلية الأولياء ٨/ ١٠٨.

علامة المنافق

قال الفضيل:

من علامة المنافق: أن يحب المدح بما ليس فيه، ويكره الذم بما فيه، ويبغض من يبصِّره بعيوبه، ويفرح إذا سمع بعيب أحد من أقرانه[1].

الكلام في المسجد

قال الفضيل:

لقد أدركنا الناس وهم لا يكلم بعضهم بعضا ما داموا جالسين في المسجد، في شيء من أمور الدنيا[2].

ترك الشهوة

قال الفضيل:

ليس في الأرض شيء أشد من ترك شهوة، قال بكر بن عبد الله: الرجل عبد بطنه، عبد شهوته، عبد

---

(١) تنبيه المغترين ص١٠٥.

(٢) تنبيه المغترين ص١٠٨.

زوجته، لا يقنع بقليل، ولا من كثير يشبع، يجمع لمن لا يحمده، ويقدم على من لا يقدره[1].

ذنب العالم

قال الفضيل:

يغفر للجاهل سبعون ذنباً، ما لم يغفر للعالم ذنب واحد[2].

يقتدى بكم

رأى الفضيل قوماً من أصحاب الحديث، يمزحون ويضحكون، فناداهم:

مهلاً يا ورثة الأنبياء، مهلاً ثلاثاً، إنكم أئمة يقتدى بكم[3].

القرب من الله تعالى

قال الفضيل:

قال الله تعالى: أيحزن عبدي المؤمن أن أبسط له

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٩٨.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٠٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣٥.

الدين، وهو أقرب له مني، ويفرح أن أبسط له في الدنيا، وهو أبعد له مني[1].

الخير والشر

قال الفضيل:

جعل الله الشر كله في بيت، وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا[2].

الصبر

قال الفضيل:

إن لم تصبر على تقدير الله، لم تصبر على تقدير نفسك[3].

البعد عن السلطان

قال الفضيل:

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٠١.

(٢) إحياء علوم الدين ٤/ ٢٤٣.

(٣) إحياء علوم الدين ٤/ ٣٤٦.

كنا نتعلم اجتناب أبواب السلطان، كما نتعلم السورة أو الآية من القرآن[1].

وقال:

لأن يدنو رجل من جيفة منتنة خير له من أن يدنو من هؤلاء، يعني السلطان.

وقال:

رجل لا يخالط السلطان، ولا يزيد على المكتوبة، أفضل عندنا من رجل يقوم الليل، ويصوم النهار، ويحج ويعتمر، ويجاهد في سبيل الله، ويخالطهم[2].

طلبة إبليس

قال الفضيل:

إن إبليس إذا ظفر من ابن آدم بإحدى أربع، قال: لا أطلب منه غيرها:

إعجابه بنفسه.

---

(١) تنبيه المغترين ص٩٧.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٩٨.

واستكثاره عمله.

ونسيانه ذنوبه.

وزيادة الشبع، وهي أعظمها، فإن الثلاثة تنشأ عنه[1].

وقال:

إذا بلغ العبد أربعين سنة ولم يتب من جميع المعاصي والذنوب، مسح الشيطان بيده على جبهته، وقال: فديت وجهاً لا يفلح[2].

المذنبون والصديقون

قال الفضيل:

قال الله تعالى: بشر المذنبين بأنهم إن تابوا قبلت منهم. وحذِّر الصديقين: أني إن وضعت عدلي عليهم عذبتهم[3].

البلاء

قال الفضيل:

---

(١) تنبيه المغترين ص١٠٢.
(٢) تنبيه المغترين ص١٠٣.
(٣) إحياء علوم الدين ٤/ ١٤.

إن الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء، كما يتعاهد الرجل أهله بالخير[1].

انحراف العلماء

قال الفضيل:

اشتهي أن تكون داري بعيدة عن القراء، ما لي ولقوم إذا رأوني في نعمة حسدوني، وإن رأوني في زلة هتكوني.

وقال:

ما أقبح قلة ورع العالم، وما أقبح قول الناس: إن العالم الفلاني قدم حاجاً بمال الأمير الفلاني. أو بمال المرأة الفلانية.

وقال:

كيف تحمدون القراء، مع غلظ رقابهم، ورقة ثيابهم، وأكلهم مخ الحنطة، والله إن سف الرماد كثير على من يخشى الله ويتقيه[2].

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ١٣٣.

(٢) تنبيه المغترين ص٩٧.

إحسان العمل

قال الفضيل:

ما قطع ظهر إبليس شيء مثل من أحسن عمله.
قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1] ولم يقل أكثر عملا[2].

طلب الدنيا

قال الفضيل:

لأن يطلب الرجل الدنيا بأقبح ما تطلب به، أحسن من أن يطلبها بأحسن ما تطلب به الآخرة[3].

سجن اللسان

قال الفضيل:

لا حج ولا جهاد ولا رباط أشد من حبس اللسان، لو أصبحت يهمك لسانك أصبحت في غم شديد.

---

(١) سورة الملك: الآية ٢.

(٢) تنبيه المغترين ص١٠٣.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٩٨.

وسجن اللسان سجن المؤمن، وليس أحد أشد غماً ممن سجن لسانه[1].

ما يعنيك

قال الفضيل:

تكلمت فيما لا يعنيك، فشغلك عما يعنيك.

ولو شغلك ما يعنيك، تركت ما لا يعنيك[2].

الخوف

قال الفضيل:

أنت لا ترى خائفاً، كيف تخاف؟

وقال:

أعلم الناس بالله، أخوفهم له[3].

مرض بلا عواد

قال الفضيل:

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١١٠.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ١١٠.
(٣) حلية الأولياء ٨/ ١١١.

أشتهي أن أمرض بلا عواد[1].

أخلاق الأنبياء

قال الفضيل:

كان يقال: من أخلاق الأنبياء والأصفياء الأخيار، الطاهرة قلوبهم، خلائق ثلاثة: الحلم، والأناة، وحظ من قيام الليل[2].

الغبطة والحسد

قال الفضيل:

الغبطة من الإيمان، والحسد من النفاق.

والمؤمن يغبط ولا يحسد.

والمنافق يحسد ولا يغبط[3].

مسافرون

قال الفضيل:

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٩٦.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ٦٥.
(٣) حلية الأولياء ٨/ ٩٥.

قيل يا ابن آدم، اجعل الدنيا داراً تبلغك لأثقالك، واجعل نزولك فيها استراحة، لا تحبسك، كالهارب من عدوه، والمتسرع إلى أهله في طريق مخوف، لا يجد مسالماً فيه. متبذلاً في سفره ليستبقي صالح ما عنده لإقامته.

فإن عجزت أن تكون كذلك في العمل، فليكن ذلك هو الأمل.

وإياك أن تكون لصاً من لصوص تلك الطريق ممن ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[1].

فإن العين ما لم يكن بصرها من القلب، فكأنما أبصرت سهواً، ولم تبصره[2].

دعاء في عرفات

قال إسحاق بن إبراهيم:

وقفت مع الفضيل بعرفات، فلم أسمع من دعائه شيئاً، إلا أنه واضع يده اليمنى على خده، وواضع

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٢٦.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٨٩.

رأسه يبكي بكاء خفياً، فلم يزل كذلك حتى أفاض الإمام، فرفع رأسه إلى السماء فقال:

واسوأتاه - والله - منك، وإن عفوت. ثلاث مرات[1].

خطر الرياء

قال الفضيل:

لأن أحلف أني مراء، أحب إلي من أن أحلف أني لست بمراء.

وكان يعاتب نفسه، ويقول:

كنت يا فضيل في شبوبيتك فاسقاً عاصياً، وصرت في كهوليتك مرائياً منافقاً. والله للفاسق والعاصي أخف إثماً عند الله من المرائي والمنافق، لأن العاصي ينتظر من الله المغفرة. ولا كذلك المرائي والمنافق، لأنه ذنب قل أن يشعر به صاحبه، حتى يتوب منه[2].

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٨٨.

(٢) تنبيه المغترين ص٢٠٦.

قيمة الدنيا

قال الفضيل:

لو أن الدنيا كانت بأسرها تحت يدي ما فرحت بها، ولو أن أحداً أخذها كلها من يدي ما تبعته ولا حزنت عليها[١].

ليس بزاهد

قال الفضيل:

من أحبَّ أن يسمع كلامه إذا تكلم فليس بزاهد[٢].

المحافظة على الجماعة

قال الفضيل:

فرَّ من الناس، غير تارك للجماعة[٣].

الكف عن الأذى

قال الفضيل:

---

(١) تنبيه المغترين ص١٨٩.

(٢) الطبقات الكبرى ١/٥٨. والمعنى أن الزهد عندهم يشمل الزهد بالناس وأقوالهم.

(٣) الطبقات الكبرى ١/٥٨.

والله ما يحل لك أن تؤذي كلباً ولا خنزيراً بغير حق، فكيف تؤذي مسلماً؟

وقال:

لا يكون العبد من المتقين، حتى يأمنه عدوه[1].

راعي الحمر

قال الفضيل لمحرز بن عون:

يا محرز، والله لأن تكون راعي الحمر وأنت مقيم على ما يحب الله خير لك من الطواف وأنت مقيم على ما يكره الله[2].

بئس ما تظن

قال الفضيل:

أخذت بيد سفيان بن عيينة في هذا الوادي فقلت:

إن كنت تظن أنه بقي على وجه الأرض شر مني ومنك فبئس ما تظن[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣٥.

كن شاهداً لغائب

قال إبراهيم بن الأشعث: قال الفضيل:

كان يقال: كن شاهداً لغائب، ولا تكن غائباً لشاهد.

قال: كأنه يقول: إذا كنت في جماعة الناس؛ فأخفِ شخصك، وأحضر قلبك وسمعك، وعِ ما تسمع، فهذا: شاهد لغائب.

ولا تكن غائباً لشاهد. قال: كأنه يقول: تحضر المجالس ببدنك، وسمعك وقلبك لاهٍ ساهٍ[1].

العطاء والنقصان

قال الفضيل:

ليس من عبد أعطي شيئاً من الدنيا، إلا كان نقصاناً له من الدرجات في الجنة، وإن كان على الله كريماً[2].

أهل المعرفة

قال الفضيل:

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٨٨.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٨٨.

أحق الناس بالرضا عن الله أهل المعرفة بالله.

وقال: من مقت نفسه في ذات الله، أمنه الله من مقته[1].

ليسأل الصادقين

قال الفضيل:

ما تزيَّن الناس بشيء أفضل من الصدق، والله عزَّ وجلَّ يسأل الصادقين عن صدقهم، منهم عيسى ابن مريم عليه السلام. كيف بالكذابين المساكين؟!

ثم بكى وقال: أتدرون في أي يوم يسأل الله عزَّ وجلَّ عيسى ابن مريم، عليه السلام؟ يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين، آدم فمن دونه.

ثم قال: وكم من قبيح تكشفه القيامة غدا[2]؟!

العلل

قال الفضيل:

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٠٤.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٠٨.

إنما جعلت العلل ليؤدب بها العباد، ليس كل من مرض مات[1].

أصلح ما يكون

قال الفضيل:

أصلح ما أكون أفقر ما أكون، وإني لأعصي الله، فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي[2].

يا مسكين

قال الفضيل:

يا مسكين، أنت مسيءٌ وترى أنك محسن، وأنت جاهل وترى أنك عالم، وتبخل وترى أنك كريم، وأحمق وترى أنك عاقل.

أجلك قصير، وأملك طويل[3].

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٠٨.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٠٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٤٠.

قال الإمام الذهبي تعليقاً على هذا القول:

قلت: إي والله، صدق، وأنت ظالم وترى أنك مظلوم، وآكل للحرام وترى أنك متورع، وفاسق وتعتقد أنك عدل، وطالب العلم للدنيا، وترى أنك تطلبه لله.

موعظة الفضيل للرشيد

قال الفضل بن الربيع: حج أمير المؤمنين الرشيد، فأتاني فخرجت مسرعاً، فقلت: يا أمير المؤمنين. لو أرسلت إلي أتيتك.

فقال: ويحك، قد حاك في نفسي شيء، فانظر لي رجلاً أسأله.

فقلت: ها هنا سفيان بن عيينة.

فقال: امض بنا إليه.

فأتيناه فقرعنا الباب.

فقال: من ذا؟

قلت: أجب أمير المؤمنين.

فخرج مسرعاً فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليَّ أتيتك.

فقال: خذ لما جئناك له رحمك الله.

فحدثه ساعة.

ثم قال له: عليك دين؟

فقال: نعم.

فقال: أبا عباس، اقض دينه.

فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله.

قلت: ها هنا عبد الرزاق بن همام.

قال: امضِ بنا إليه.

فأتيناه، فقرعنا الباب.

فخرج مسرعاً فقال: من هذا؟

قلت: أجب أمير المؤمنين.

فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليَّ أتيتك.

فقال: خذ لما جئناك له.

فحادثه ساعة. ثم قال: عليك دين؟

قال: نعم.

قال: أبا العباس، اقض دينه.

فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله.

قلت: ها هنا الفضيل بن عياض.

قال: امض بنا إليه.

فأتيناه، فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها.

فقال: اقرع الباب.

فقرعت الباب، فقال: من هذا؟

فقلت: أجب أمير المؤمنين.

فقال: ما لي ولأمير المؤمنين.

فقلت: سبحان الله!! أما عليك طاعة.

فنزل ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة، فأطفأ السراج، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت.

فدخلنا، فجعلنا نجول بأيدينا عليه، فسبقت كف هارون قبلي إليه.

فقال: يا لها من كف ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل.

فقلت في نفسي: ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي.

فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله.

فقال: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظي،

ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء، فأشيروا علي، فعدَّ الخلافة بلاءً، وعددتها أنت وأصحابك نعمة. فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله، فصم الدنيا، وليكن إفطارك منها الموت. وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله، فليكن كبير المؤمنين عندك أبا، وأوسطهم عندك أخاً، وأصغرهم عندك ولداً، وقال له رجاء: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إذا شئت.

وإني أقول لك: فإني أخاف عليك أشد الخوف، يوماً تزل فيه الأقدام، فهل معك رحمك الله مثل هذا، أو من يشير عليك بمثل هذا.

فبكى هارون بكاء شديداً حتى غشي عليه.

فقلت له: ارفق بأمير المؤمنين.

فقال: يا ابن الربيع، تقتله أنت وأصحابك، وأرفق به أنا؟

ثم أفاق. فقال له: زدني رحمك الله.

فقال: يا أمير المؤمنين، بلغني أن عاملاً لعمر بن

عبد العزيز شكى إليه، فكتب إليه عمر: يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء، قال: فلما قرأ الكتاب طوى البلاد، حتى قدم على عمر بن عبد العزيز، فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله عز وجل.

قال: فبكى هارون بكاء شديداً، ثم قال له: زدني رحمك الله.

فقال: يا أمير المؤمنين، إن العباس، عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أمِّرْني على إمارة، فقال له النبي ﷺ: «إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل»(١).

فبكى هارون بكاء شديداً. وقال له: زدني رحمك الله.

قال: يا حسن الوجه، أنت الذي يسألك الله عز

---

(١) حديث العباس ضعيف، وقد جاء في الصحيح معناه عن أبي ذر وعبد الرحمن بن سمرة.

وجل عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي ﷺ قال: «من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة»[1].

فبكى هارون، وقال له: عليك دين؟

قال: نعم، دين لربي يحاسبني عليه، فالويل إن سألني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم ألهم حجتي.

قال: إنما أعني من دين العباد.

قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، إنما أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره، فقال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾[2].

فقال له: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك، وتقوَّ بها على عبادتك.

---

(١) متفق عليه.

(٢) سورة الذاريات: الآيات ٥٦ ـ ٥٨.

فقال: سبحان الله! أنا أدلك على طريق النجاة، وأنت تكافئني بمثل هذا، سلمك الله ووفقك.

ثم صمت فلم يكلمنا.

فخرجنا من عنده، فلما صرنا على الباب، قال هارون: إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين.

فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت: يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به.

فقال لها: مثلي ومثلكم، كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه، فأكلوا لحمه.

فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل، فعسى أن يقبل المال.

فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة، فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه. فبينا نحن كذلك، إذ خرجت جارية سوداء فقالت: يا هذا، قد آذيت الشيخ منذ الليلة، فانصرف رحمك الله، فانصرفنا[١].

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٠٥، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٨.

المحتوى

مِنَ المَـرَاجِعْ

١ ـ إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي، دار المعرفة، بيروت.
٢ ـ الاستقامة، للإمام ابن تيمية، طبعة جامعة الإمام.
٣ ـ البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، ط١، عام ١٩٦٦م.
٤ ـ البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون.
٥ ـ الرسالة القشيرية.
٦ ـ الزهد الكبير، للحافظ البيهقي.
٧ ـ الطبقات الكبرى، للشعراني.
٨ ـ العقد الفريد، لابن عبد ربه، دار إحياء التراث.
٩ ـ تنبيه المغترين، للشعراني.
١٠ ـ حلية الأولياء، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني.
١١ ـ سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط١.
١٢ ـ صفة الصفوة، للإمام ابن الجوزي.

كتب للمؤلف

١ ـ الجامع بين الصحيحين (٤ مجلدات).
٢ ـ زوائد السنن على الصحيحين (٦ مجلدات).
٣ ـ من معين السيرة.
٤ ـ من معين الشمائل.
٥ ـ السيرة النبوية (تربية أمة وبناء دولة).
٦ ـ أضواء على دراسة السيرة.
٧ ـ هكذا فهم السلف.
٨ ـ أهل الصفة (بعيداً عن الوهم والخيال).
٩ ـ الإمام الغزالي (سلسلة أعلام المسلمين).
١٠ ـ الفرائض فقهاً وحساباً (في جزأين).
١١ ـ الفن الإسلامي (التزام وإبداع).
١٢ ـ دراسة جمالية في ثلاثة أجزاء:
أ ـ الظاهرة الجمالية في الإسلام.
ب ـ ميادين الجمال.
ج ـ التربية الجمالية في الإسلام.
١٣ ـ تحقيق الجمع بين الصحيحين للموصلي (في مجلدين).
١٤ ـ تحقيق المواهب اللدنية للقسطلاني (٤ مجلدات).
١٥ ـ تحقيق رسالة شرح المعرفة للمحاسبي.
١٦ ـ المهذب من إحياء علوم الدين (في مجلدين).
١٧ ـ تقريب «طريق الهجرتين» لابن القيم.